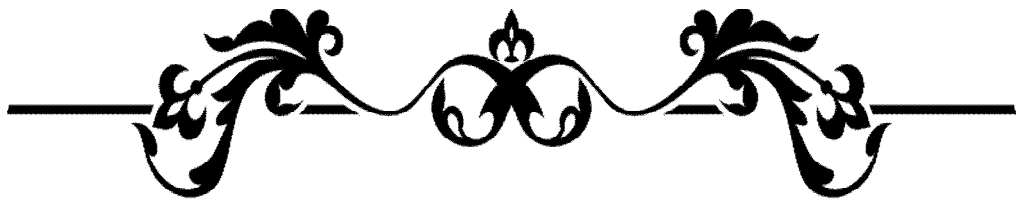

قسم التفسير

وعلوم القرآن

أهم قضايا علوم القرآن

في

تفســـير المنـــار

(دراسة نقدية)

إعداد الدكتور

علي عبد الحميد عيسى عثمان

مدرس التفسير وعلوم القرآن الكريم

بكلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان

(المقدمة)

الحمد لله الذي أنزل على عبده الفرقان، وجعله هادياً للخلق من إنس وجان، وعصم به أولياءه من الزلل والعصيان، وجعل ثواب المتمسك به أعلى الجنان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين...

أما بعد،،

فإن علوم القرآن الكريم من أشرف العلوم وأجلها وأفضلها وأنفعها على الإطلاق، ولم لا ؟ وشرف كل علم بشرف موضوعه، وموضوع علوم القرآن كتاب الله ــ عز وجل ــ، ولأن غايتها فهم القرآن الكريم؛ ولهذا اهتم الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم وسار على نهجهم في تعلم هذه العلوم وتعليمها، فأقبلوا على ذلك الكتاب حافظين، ولألفاظه تالين، ولمعانيه موضحين، وعن علومه كاشفين، ولإعجازه وبيانه مظهرين، ولمحاسنه وروائعه مجلين، حتى صارت هذه العلوم تخصصاً مستقلاً، وفناً مدوناً، يعرف بعلوم القرآن الكريم.

وقد تنوعت جهود المفسرين في هذه العلوم، فمنهم من اقتصر في تفسيره على مباحث معينة، ومنهم من أطنب وفصل في ناسخه ومنسوخه، وعامه

وخاصه، ومحكمه ومتشابهه، ومكيه ومدنيه، إلى غير ذلك من علومه، حتى أصبحت هذه العلوم خير معين للباحثين في القرآن وعلومه، للخوض في بحر القرآن الزاخر، ومحيطه الواسع، لاستخلاص دره وجواهره.

ومن هذه التفاسير التي غاصت في هذا العلم العظيم، واعتنت به عناية كبيرة "تفسير المنار"، ولكن أصحاب هذا التفسير اتخذوا في تناول قضايا علوم القرآن الكريم سبيلاً عقلياً جعلهم يحيدون ــ في أكثر قضاياهم ــ عن طريق أهل السنة والجماعة، ولذا نحتاج إلى بحث يعرض قضايا علوم القرآن الكريم في تفسير المنار، وكيف نحوا فيه منحى عقلياً، وكيف نناقشهم في هذه القضايا المتعلقة بالقرآن الكريم، في بحث هام أسميته: **(أهم قضايا علوم القرآن في تفسير المنار)** " **دراسة نقدية** ".

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ ــ صلته بالقرآن الكريم، مما يجعل الباحث يتعرف على كثير من العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، ويمكنه من التعمق فيها.

٢ ــ عدم وجود مؤلف ضم علوم القرآن عند أصحاب تفسير المنار في كتاب أو مؤلف، وخاصة أن الوقوف على كثير منها يصعب لوجوده في أماكن متفرقة.

٣ ــ أن هذه الدراسة تبرز جهود أصحاب تفسير المنار في علوم القرآن، والتي تخفى على كثير من الناس، واستقراء لطريقة الأستاذ الإمام

محمد عبده، وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا في التعامل مع العلوم القرآنية.

٤ ــ أن القضايا المتعلقة بعلوم القرآن في تفسير المنار بحاجة إلى بحث وتحقيق وتحرير وتدقيق، فضلاً عن جمعها من أماكنها المختلفة، لتصبح كأنها علم مستقل.

ثانياً: أهداف الموضوع:

١ ــ جمع أقوال الأستاذ الإمام وتلميذه في علوم القرآن ودراستها وتجميعها من خلال أقوالهما في تفسير المنار.

٢ ــ إبراز منهج الأستاذ وتلميذه في علوم القرآن.

٣ ــ إكمال الجهود والدراسات التي بذلت في علوم القرآن الكريم.

٤ ــ الوقوف على السلبيات المتعلقة بعلوم القرآن في تفسير المنار، وبيان الخبايا الدفينة بين ثناياه، لتنتفع بها الأجيال المتعاقبة، والتي كان سببها تحكيم العقل المجرد عن النص ــ في أكثر القضايا المتعلقة بعلوم القرآن الكريم ــ **والقصد من ذلك:** النصح والتبيين، لا الطعن والتجريح.

٥ ــ تنمية مهارات الباحث وملكته في الاستنباط والاختيار من أقوال العلماء المتعلقة بقضايا علوم القرآن الكريم،والبناء الجيد لشخصيته، من خلال دراسة هذا الموضوع.

وأود الإشارة: إلى أن ما أنبه عليه من أخطاء وأغاليط في مدارج البحث ومسالكه، كان تجرداً لإجلاء الحقائق، لا الغض من شأن قائليه من الأعلام، فهم في الطريق شامة، وفي وجه الزمان علامة.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

لم أجد من تطرق إلى موضوع بحثي: " **أهم قضايا علوم القرآن في تفسير المنار. دراسة نقدية** "، وإنما كانت دراسات متعلقة بتفسير المنار من جوانب أخرى، **وهذه الدراسات هي:**

١ ــ محمد رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: الباحث محمد ابن عيد بن سليمان السلمان ــ رسالة جامعية ــ مكتبة المعلا بالكويت.

٢ ــ المدرسة العقلية الحديثة في ضوء العقيدة الإسلامية: الباحث ناصر عبد الكريم العقل. رسالة ماجستير ــ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣ ــ موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: الباحث الأمين الصادق الأمين رسالة ماجستير ــ بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى.

٤ ــ الاتجاه العقدي في تفسير المنار: الباحث عبد السلام حسن أحمد حامد دكتوراه ــ بكلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم ــ جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان.

٥ ــ الإصلاح الاجتماعي في تفسير المنار: الباحث خضر إسماعيل محمد ماجستير ــ قسم التفسير ــ الجامعة الأردنية.

٦ ــ موقف المدرسة العقلية من الحديث النبوي الشريف (دراسة تطبيقية على تفسير المنار). تأليف: شفيق بن عبد بن عبد الله شقير ــ طبعة المكتب الإسلامي، وهو في الأصل رسالة ماجستير.

٧ ــ منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي ــ الناشر: مؤسسة الرسالة.

٨ ــ أثر الاتجاه العقلي السلبي في تفسير المنار: الباحث ماجد صبحي عبد النبي ــ ماجستير ــ كلية أصول الدين ــ الجامعة الإسلامية بغزة.

٩ ــ موقف تفسير المنار من روايات أسباب النزول والإسرائيليات، الباحث: د. أحمد محمد مفلح، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، العدد ٢٨.

أما دراستي فتعني بجمع قضايا علوم القرآن التي تناولها الأستاذ الإمام وتلميذه في تفسير المنار مع مناقشتها، وذكر الأقوال المخالفة لها، والوقوف

على القضايا التي خالف فيها الأستاذ وتلميذه جمهرة العلماء، بمعنى: تجميع قضايا علوم القرآن في تفسير المنار وبيان ما لها وما عليها من خلال الدراسة المنهجية الاستقرائية لهذا التفسير.

رابعاً: منهج البحث:

سيكون المنهج الذي أسير عليه ــ بإذن الله تعالى ــ استقرائياً تحليلياً، على النحو التالي:

١ ــ جمع آراء الأستاذ الإمام محمد عبده، وتلميذه في علوم القرآن من خلال تفسير المنار مع مراعاة:

أ ــ إذا كان في النص استطراد، وليس له علاقة بعلوم القرآن، فإني أضع مكانه نقطاً، دلالة على حذف بعض الكلام.

ب ــ إذا تكرر كلام الأستاذ وتلميذه في قضية من قضايا علوم القرآن، فإني أنقل كلامه في أول موضع فقط.

٢ ــ دراسة آراء الأستاذ الإمام وتلميذه في علوم القرآن ومناقشتها والرد عليها بالأدلة ونقل أقوال العلماء التي تخالف ما ذهبوا إليه.

٣ ــ رتبت الأعلام على مدار البحث على حسب تاريخ الوفاة، متبعاً التقويم الهجري في الجميع، بعد معادلة الميلادي بالهجري، ليعيننا ذلك على الوقوف على تاريخ ميلاد الأفكار، ومدى تطورها، والتأثر بها.

٤ ــ صدرت كل قضية من قضايا البحث بتمهيد وبيان، أعرف فيه ما يحتاج إلى تعريف، وأُوضح أهمية القضية مدار البحث.

٥ ــ ذكر الأقوال المخالفة للأستاذ الإمام وتلميذه في قضية من القضايا المتعلقة بعلم القرآن يقوم على أساسين.

أ ــ لا أذكر الخلاف في قضية إلا إذا كان له حظ من النظر، إذ ليس كل خلاف جاء معتبراً.

ب ــ عند ذكر الخلاف يتم استيعابه في الجملة، من حيث ذكر أدلة كل قول مع مناقشة هذه الأدلة، وترجيح ما يتبين رجحانه بالدليل.

٦ ــ توثيق المادة العلمية بالتعليق في الحاشية وفق الآتي:

أ ــ عزو الآيات إلى سورها مع بيان أرقامها.

ب ــ تخريج الأحاديث والآثار من الكتب المعتمدة في ذلك، فإذا كان الحديث في الصحيحين، أو في أحدهما اكتفيت به لصحتهما، وإن لم يكن فيهما فإني أخرجه من مظانه في كتب الحديث الأخرى، وأذكر لكلام أهل العلم فيه.

ج ــ التعريف بغريب الألفاظ بالرجوع إلى كتب اللغة المعتمدة.

د ــ توثيق النقول والأقوال بالإحالة على مصادرها.

هـ ــ وضعت خاتمة عرفت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، ثم التوصيات.

و ــ تم عمل فهارس لمادة البحث تشتمل على:

١ ــ ثبت المصادر والمراجع. ٢ ــ فهرس الموضوعات.

خامساً: خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وتشتمل على:

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

ثانياً: أهداف الموضوع.

ثالثاً: الدراسات السابقة.

رابعاً: منهج البحث.

خامساً: خطة البحث.

التمهيد: ويشتمل على:

أولاً: تعريف علوم القرآن باعتباره فناً مدوناً.

ثانياً: أهمية العلم بعلوم القرآن.

الفصل الأول: تفسير المنار وترجمة موجزة لأصحابه: ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بتفسير المنار. وتحته مطالب:

المطلب الأول: فكرة الكتابة في تفسير المنار.

المطلب الثاني: نسبة التفسير إلى أصحابه.

المطلب الثالث: أوجه الاتفاق والاختلاف في المنهج.

المطلب الرابع: تفسير المنار وجمال الدين الأفغاني.

المبحث الثاني: ترجمة موجزة للإمام محمد عبده.

أولاً: اسمه ونسبه.

ثانياً: مولده ونشأته.

ثالثاً: البيئة وأثرها في تشكيل عقليته.

رابعاً: شيوخه وتلاميذه.

خامساً: مصنفاته العلمية.

سادساً: وفاته.

المبحث الثالث: ترجمة موجزة للشيخ محمد رشيد رضا.

أولاً: اسمه ونسبه.

ثانياً: مولده ونشأته.

ثالثاً: منزلته العلمية.

رابعاً: مصنفاته العلمية.

خامساً: تحذيره من خطر اليهود.

سادساً: وفاته.

المبحث الرابع: ترجمة موجزة للسيد محمد بهجة البيطار.

أولاً: مولده.

ثانياً: شيوخه.

ثالثاً: نشاطه وعمله.

رابعاً: مؤلفاته.

خامسا: وفاته.

الفصل الثاني: أهم قضايا علوم القرآن في تفسير المنار. ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تفسير المنار وأسباب النزول. وتحته مطالب:

أولاً: تعريف سبب النزول.

ثانياً: فوائد معرفة أسباب النزول.

ثالثاً: رد المنار لكثير من روايات أسباب النزول.

المبحث الثاني: إنكار أصحاب المنار للنسخ. وتحته مطالب:

المطلب الأول: تعريف النسخ لغة.

المطلب الثاني: تعريف النسخ اصطلاحاً.

المطلب الثالث: بيان حكم النسخ وشروطه وطرق معرفته وما لايقع فيه.

المطلب الرابع: إنكار أصحاب المنار للنسخ. (من خلال أمرين):

الأول: محاولة الاعتذار لأبي مسلم الأصفهاني.

الثاني: استقراء بعض الأمثلة وموقف المفسرين من هذا التفسير.

المبحث الثالث: التأويل. وتحته مطالب:

أولاً: تعريف التأويل لغة.

ثانياً: الفرق بين التفسير والتأويل.

ثالثاً: التأويل عند المتأخرين من المتكلمين والمُحْدَثة والمتفقهة.

رابعاً: اتباع تفسير المنار للتأويل عن المتأخرين. (من خلال أمرين):

الأول: الاستدلال من كلامهما.

الثاني: أمثلة من تفسير المنار توضح معنى التأويل لديهما.

خامسا: القول الحق في منهج تفسير المنار في التأويل.

سادساً: خطورة هذا المنهج.

سابعاً: رأي بعض المعاصرين في هذا المنهج.

المبحث الرابع: علم المناسبات (وتحته مطالب):

أولاً: تعريف المناسبات لغة واصطلاحاً.

ثانياً: نشأة هذا العلم والمؤلفات فيه.

ثالثاً: أنواع المناسبات.

رابعاً: المناسبات بين القبول والرد.

خامسا: موقف تفسير المنار من علم المناسبات.

سادساً: ما ينتقد فيه تفسير المنار فيما يتعلق بالمناسبات.

وقد تشتمل المطالب على فروع ومسائل طبقاً لمقتضيات البحث.

الخاتمة: ثم ذيلت هذا البحث بخاتمة تشتمل على أهم النتائج، التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

الفهارس: وتشتمل على:ثبت المصادر والمراجع،وفهرس الموضوعات.

وفي الختام: أسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل صالحاً، ولوجهه الكريم خالصاً، وأن يجعله حجة لي لا عليَّ، وصلى الله علي نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيـــد

ويشتمل على:

أولاً : تعريف علوم القرآن باعتباره فناً مدوناً.

ثانياً: أهميـــة العلـــم بعلـــوم القـــــرآن.

(التمهيـــــد)

أولاً: تعريف علوم القرآن باعتباره فناً مدوناً:

إن تعريف علوم القرآن باعتباره فناً مدوناً يختلف عـن تعريفـه بمعنـاه الإضافي العام.

فعلوم القرآن بمعناه الإضافي العام: كل علم يخدم القرآن، أو يستند إليه، وينتظم ذلك علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الرسم العثمـاني، وعلـم إعجاز القرآن، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم إعراب القرآن، وعلم غريب القرآن، وعلوم الدين واللغة إلى غير ذلك.(١)

إذاً فعلوم القرآن في المعنى العام: هو أنواع المعارف والعلوم المتـصلة بالقرآن الكريم، سواء كانت خادمة لـه، أو دل القـرآن علـى مـسائلها وأحكامها.(٢)

أما ما ذكره ابن العربي (ت ٥٤٣هـ) في قانون التأويل، أن العلماء قالوا: إن علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة وسبعة آلاف وسبعون ألف علـم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة، إذ لكل كلمة منها ظاهر وباطن، وحد ومطلع.(٣)

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني (١ / ٢٣).

(٢) ينظر: المنتقى في علوم القرآن، د. طه عابدين (٢٧/١).

(٣) قانون التأويل، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، دراسـة وتحقيـق محمـد السليماني، (ص ٥٤٠).

وما توسع فيه السيوطي (ت ٩١١هـ) إذ أدخل من العلوم المستنبطة من القرآن: علم الطب، والجدل، والهيئة، والهندسة، والجبر، والمقابلة، والنجامة، وغير ذلك.(١)

فقد قال الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ): إن هذا الكلام من ابن العربي، والسيوطي محمول على ضرب كبير من التأويل والتوسع بأن يراد من العلوم كل ما يدل عليه القرآن من المعارف.(٢)

أما علوم القرآن باعتباره فناً مدوناً " المعنى الاصطلاحي المتأخر ": فهو أخص من مدلوله بالمعنى الإضافي العام، وقد اختلفت عبارات العلماء في ذلك.

عرفه الزرقاني بأنه: مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه، ونحو ذلك. (٣)

وعرفه محمد أبو شهبة (ت١٤٠٣هـ) بأنه: علم ذو مباحث، تتعلق بالقرآن الكريم من حيث نزوله وترتيبه وكتابته وجمعه وقراءاته وتفسيره وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه إلى غير ذلك من المباحث التي تذكر في هذا العلم. (٤)

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٢ / ٣٣٤).
(٢) مناهل العرفان (١ / ٢٣).
(٣) المرجع السابق (١ / ٢٧).
(٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبو شهبة، ص ٢٥.

وعرفه مناع القطان (ت١٤٢٠هـ) بأنه: العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن.(١)

والإبقاء على لفظ "علوم القرآن" بالجمع، بعدما صار علماً مستقلاً: للإشارة إلى أن هذا العلم خلاصة علوم كثيرة لها اتصال بالقرآن الكريم من جوانب متعددة تجمعت تحت مسمى واحد. (٢)

ثانياً: أهمية العلم بعلوم القرآن:

إن علوم القرآن الكريم من أهم العلوم وأعلاها وأنفعها، إذ هو السبيل لفهم كتاب الله، ومعرفة أحكامه وحكمه، ولذا تظهر أهمية دراسة هذه العلوم من جوانب عديدة، أبرزها ما يلي:

١ ــ يساعد على فهم وتدبر القرآن، واستنباط أحكامه، ومعرفة حكمه، وحل مشكله، وفهم متشابهه، بصورة صحيحة دقيقة؛ لأنه الأساس والمفتاح لفهم القرآن الكريم.

٢ ــ زيادة الثقة واليقين بهذا القرآن العظيم، وخاصة لمن تعمق في معارفه، ووقف على دقائق أسراره.

(١) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، (ص ١٢).
(٢) علوم القرآن بين البرهان والإتقان، د. حازم حيدر (٢٦/١).

٣ ــ معرفة الجهود العظيمة التي بذلها العلماء لخدمة هذا الكتاب، ودور هذه الجهود في حفظه من التغيير والتبديل، وفي تيسير فهمه.

٤ ــ التسلح بعلوم قيمة تمكن من الدفاع عن هذا الكتاب العزيز ضد ما يتعرض له من أعداء الإسلام من الشكوك والشبهات.

٥ ــ زيادة ثقافة الفرد المسلم بالمصدر الأول لدينه، وأعظم ما يملكه في الوجود.

٦ ــ نيل الأجر والثواب، إذ أن تعلم مثل هذه العلوم من أوسع أبواب العبودية لله

٧ ــ تطهير القلب، وتهذيب النفس، وزيادة الإيمان، إذ أن تعلم علوم القرآن يربط المسلم بصورة قوية بكتاب الله الذي أنزله الله شفاء للناس ورحمة[١]

❁❁❁

(١) ينظر: المنتقى في علوم القرآن الكريم، د. طه عابدين ١ / ٢٨ ــ ٢٩.

الفصل الأول

تفسير المنار وترجمة موجزة لأصحابه

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بتفسير المنار.

المبحث الثاني: ترجمة موجزة للإمام محمد عبده.

المبحث الثالث: ترجمة موجزة للشيخ محمد رشيد رضا.

المبحث الرابع: ترجمة موجزة للسيد محمد بهجة البيطار.

(المبحث الأول)

التعريف بتفسير المنار

المطلب الأول: فكرة الكتابة في تفسير المنار:

بعد وصول الإمام محمد عبده إلى مصر في شعبان سنة ١٣١٥هـ، تحدث له السيد محمد رضا عن إصلاح الأزهر، وطلب منه أن يكتب تفسيراً للقرآن الكريم، فأجابه الإمام بأن القرآن لا يحتاج إلى تفسير كامل من كل وجه، لأن هناك تفاسير كثيرة أتقنها بعض المفسرين دون غيرهم، لكن الحاجة شديدة إلى تفسير بعض الآيات، وربما لا يتسع العمر لتفسير كامل، وأعقب ذلك مناقشة بينهما، فقال الأستاذ محمد رضا لأستاذه: "إن الأمر يتطلب وضع تفسير على النحو الذي تفضلت بشرحه، يقتصر فيه على حاجة العصر، ويترك كل ما هو موجود في كتب التفاسير.

فرد الإمام: إن الكتب لا تفيد القلوب العمي، وإنما تفيد القلوب المتيقظة العالمة بأهمية الحاجة إليها، وإن الكلام المسموع يؤثر في النفس أكثر من الكلام المقروء لأن نظر المتكلم، وحركاته، وإشاراته، ولهجته في الكلام، كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه، غير أن محمد رشيد رضا ذكر لأستاذه أنه يوجد كثير من الناس في البلاد الإسلامية متشوقين للعلم، وإن كثيراً منهم لم ينتبهوا للإصلاح إلا بفضل الكتب، وضرب مثلا بنفسه قائلاً:

إنه لم ينتبه لما أدركه إلا بفضل العروة الوثقى [١]، وتمكن أخيراً بعد سنة وثلاثة أشهر تقريباً من إقناعه بإلقاء دروس في التفسير في الأزهر، واستهل الإمام درسه الأول في التفسير في غرّة المحرم سنة ١٣١٧هـ، وقد حضر السيد محمد رضا جميع دروس التفسير التي ألقاها الإمام، وكتب منها ما تراءى له من مذكرات، تشتمل على أهم ما رآه الأستاذ أو قال، واقترح بعض قراء المنار[٢] على الشيخ محمد رشيد رضا أن ينشر هذه التفاسير في الجريدة لتعم فائدتها، واستجاب لرأيهم، وبدأ في ذلك من أول أعداد المنار في شهر محرم سنة ١٣١٨هـ ــ ١٩٠٠م، وكان يُطلع الأستاذ الإمام أولاً بأول على كل ما يعدُّ للطبع، فكان ينقح فيه بزيادة قليلة، أو حذف بعض كلمات، دون أن ينتقد شيئاً جوهرياً، وكان الأستاذ الإمام

(١) العروة الوثقى: جريدة سياسية أدبية أسبوعية أنشئت في آذار سنة ١٨٨٤م "جمادي الأولى سنة ١٣٠١هـ " لمدير سياستها السيد/ جمال الدين الحسيني، ومحررها الشيخ محمد عبده المصري، وهي بليغة العبارة، كثيرة المباحث، وقد صدر من هذه الجريدة ثمانية عشر عدداً، آخرها سنة ١٨٨٤م، وقد حالت الموانع دون الاستمرار في نشرها، حيث صادرتها حكومة إنجلترا ومنعت دخولها إلى الهند وسائر البلاد التي لها فيها نفوذ. ينظر: تاريخ الصحافة العربية ــ بقلم الفيكونت فيليب دي طرازي ٢٦١/١ ــ ٢٦٢، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ــ جمعها وحققها وقدم لها د. محمد عمارة ٢٥/١.

(٢) مجلة المنار: أسسها السيد محمد رشيد رضا سنة ١٨٢٨م، وقد وقفها على الدعوة إلى الإسلام والتأكيد على الجوانب الخالدة في رسالته، ويمكن اعتبار هذه المجلة بمثابة التكملة "للعروة الوثقى" التي كانت قد توقفت في أواخر السنة الأولى لصدورها،وجرت "المنار" على غرار "العروة". تاريخ الفلسفة الإسلامية: د. ماجد فخري، د. كمال اليازجي ص ٤٧٣.

يثق في محمد رشيد رضا ثقة كبيرة، وقد صور الإمام ذلك حينما قال: " **صاحب المنار ترجمان أفكاري** ".

وبدأ الإمام يلقي دروسه في التفسير بالجامع الأزهر من يونيو سنة ١٨٩٩م (محرم سنة ١٣١٧هـ) واستمر في إلقائها نحو ست سنوات، أي حتى وفاته، وبلغ في التفسير من أول القرآن الكريم حتى الآية مائة وخمس وعشرين من سورة النساء، وبعد عام بدأ السيد محمد رضا بجمع أقوال وتفسير أستاذه، وأخذت مجلة المنار بنشره، واستمر النشر فيها شهرياً حتى عددها الخامس من سنتها الخامسة عشرة " ثلاثين جمادي الأولى سنة ١٣٣٠هـ ــ السابع عشر من مايو سنة ١٩١٢م "، وبعد ذلك أخذ السيد محمد رشيد رضا يواصل التفسير منفرداً. (١)

المطلب الثاني: نسبة التفسير إلى أصحابه:

إن الذي تركه السيد محمد رشيد رضا من التفسير أكثر من المقدار الذي تركه الإمام محمد عبده.

فقد فسَّر الشيخ محمد رشيد رضا: من أول القرآن إلى الآية " اثنتين وخمسين " من سورة يوسف، أي أكثر من ثلاثة عشر جزءاً من القرآن، وقد استغرق هذا القدر اثنا عشر مجلداً كبيراً، وبذلك يكون آخر ما فسره

(١) ينظر: أعلام العرب ــ رشيد رضا " الإمام المجاهد "، د. إبراهيم العدوي ٣٣ / ٢٠٨، تفسير القرآن الحكيم ــ الشهير بتفسير المنار ــ لمحمد رشيد رضا ١٥/١ ــ ١٦.

قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّـهَ لاَ يَهْـدِي كَيْـدَ الْخَائِنِينَ** ﴾ (١).

الشيخ محمد بهجة البيطار: قام بإكمال سورة يوسف بعد وفاة الشيخ محمد رشيد رضا، وطبع تفسير سورة يوسف في جزء يحمل اسم السيد محمد رشيد رضا، وقد شمل تفسير السورة كاملاً.

أما الإمام محمد عبده: فقد ابتدأ من أول سورة الفاتحة في غرة المحرم سنة ١٣١٧هـ، وانتهى بالتفسير عند قوله تعالى: ﴿ **وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا** ﴾ (٢)، وذلك في منتصف المحرم سنة ١٣٢٣هـ، إذ توفي ــ رحمه الله ــ لثمان خلت من جمادى الأولى من السنة نفسها.

وهناك آثار أخرى من إنتاج الإمام في التفسير غير ما ذكر في المنار، من ذلك تفسيره المشهور لجزء "عم"، ذلك التفسير الذي ألفه بمشورة من أعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية، وقد أتم الإمام هذا الجزء في سنة ١٣٢١هـ ببلاد المغرب، وله تفسير مطول لسورة " العصر " ألقاه على علماء مدينة الجزائر سنة ١٣٢١هـ، وكذلك بعض بحوث تفسيرية عالج

(١) سورة يوسف الآية ٥٢.

(٢) سورة النساء الآية ١٢٦.

فيها بعض مشكلات القرآن ودفع بها بعض ما أثير حول القرآن من شكوك وإشكالات.[1]

ومن الملاحظ حول تفسير المنار: أن ما يتعلق بالقسم الأول منه حتى الآية (١٢٥) من سورة النساء أنه ليس للسيد محمد رشيد رضا فيه إلا الصياغة والتدوين، أما التفسير فللأستاذ الإمام.

أما ما يتعلق بالآية (١٢٦) من سورة النساء حتى الآية (٥٢) من سورة يوسف فقد استقل الشيخ محمد رشيد رضا بالتفسير وتوسع في أمور قد خالف فيها الشيخ الإمام مثل توسعه بالاستدلال بالمأثور.

ثم أكمل البيطار سورة يوسف إلى نهايتها.

المطلب الثالث: أوجه الاتفاق والاختلاف في المنهج:

اتخذ الأستاذ الإمام لنفسه منهجاً يسير عليه في تفسير القرآن الكريم، خالف به جماعة المفسرين في جزئيات كثيرة من تفسيره، فقد كان يرى بأن فهم كتاب الله، من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم، في الدنيا والآخرة، أما ما وراء ذلك فهو تابع له، ثم نجده يتوجه باللوم للمفسرين الذين غفلوا عن الغرض الأول للقرآن، وهو ما فيه من هداية

(١) ينظر: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ــ محمد الصباغ ص ٢٢٤، ٢٢٥، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ــ د. فهد الرومي ٨٤/٢، تفسير المنار ١١٣/١، التفسير والمفسرون ــ د. محمد الذهبي ٥٩٣/٢ ــ ٥٩٥.

وإرشاد، وراحوا يتوسعون في نواح أخرى من ضروب المعاني، ووجوه النحو، وخلافات الفقه وغير ذلك.

ومن خلال منهجه أعطى للعقل مساحة واسعة في التفسير، ولم يجر على ما وجد عليه غيره من أفكار المتقدمين، مما أدى به أن يرد الكثير من المأثور من الأحاديث النبوية الصحيحة، وأقوال بعض الصحابة والتابعين، وهذا ما أغضب عليه الكثير من أهل العلم.

وفي المقابل جمع حوله قلوب المعجبين بهذا المنهج.

إذن فالأستاذ الإمام لم يجمد على ما كتب عند المفسرين القدامى، بل كان حراً في تفكيره وفهمه للقرآن، جريئاً في ثورته على القديم، ودعوته إلى التحرر بما أحاط العقول من القيود، وما أوغلت فيه من الركود والجمود.(١)

وأهم ما يميز منهج الأستاذ الإمام في التفسير: هو إخضاعه حوادث الحياة القائمة في وقته لنصوص القرآن الكريم، إما بالتوسع في معنى النص، أو بحمل الشبيه على الشبيه. (٢)

أما السيد محمد رشيد رضا: فمنهجه هو عين ما نهجه الأستاذ الإمام، فلا تقيد بأقوال المفسرين، ولا تحكم للعقيدة في نص القرآن، ولا خوض في إسرائيليات، ولا تعيين لمبهمات، ولا تعلق بأحاديث موضوعة، ولا رجوع بالنص إلى اصطلاحات الفنون.(٣)

---

(١) الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير، د. عبد الغفار عبد الرحيم، ص ١٧٧.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ص ١٧٥.

(٣) التفسير والمفسرون، ٢ / ٦٢١.

إلا أننا نجد أن الشيخ محمد رشيد رضا ــ رحمه الله ــ قد خالف أستاذه وحاد عن منهجه بعض الشيء، فقد قال عن نفسه: " وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته، خالفت منهجه ــ رحمه الله ــ بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء أكان تفسيراً لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات، أو الجمل اللغوية، والمسائل الخلافية بين العملاء،.. لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر"(١).

أوجه الاتفاق: مخالفة جمهور المفسرين في كثير من القضايا التفسيرية، وإطلاق العنان للعقل في تفسير كتاب الله تعالى، بحجة أن هذا ينسجم مع الواقع، وتطورات العصر.

المطلب الرابع: تفسير المنار وجمال الدين الأفغاني:

لم يكن للمؤسس الأول لهذه المدرسة السيد: جمال الدين الأفغاني(٢) أي علاقة بتفسير المنار، إنما كان نشاطه مع الإمام محمد عبده مقتصراً على

---

(١) تفسير المنار ١٦/١ (باختصار).

(٢) جمال الدين الأفغاني: هو السيد محمد جمال الدين الحسيني بن السيد صفدر " كلمة فارسية، وتكتب صفتر"، ولد في أسعد آباد بأفغانستان عام ١٢٥٤هـ ــ الموافق ١٨٣٨م، نشأ بكابل، وتلقى العلوم العقلية والنقلية، رحل ماراً بالهند ومصر إلى الأستانة.. تتلمذ له الشيخ محمد عبده وكثيرون، نفته الحكومة المصرية فرحل إلى باريس، وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة العروة الوثقى، توفي بالأستانة ونقل رفاته إلى بلاد الأفغان سنة ١٣١٥هـ الموافق ١٨٩٧م،. ينظر: الأعلام ــ الزركلي ١٦٨/٦، تاريخ الصحافة العربية ٢٩٣/١.

جريدة " العروة الوثقى "، والتي تأثر بها الأستاذ محمد رشيد رضا، وكانت دافعاً له لإصدار مجلة المنار، والتي كانت المحضن لتفسير المنار.

أما العلاقة المباشرة لتفسير المنار فقد كانت فقط للأستاذ الإمام محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا، والأستاذ محمد بهجة البيطار.

(المبحث الثاني)

ترجمة موجزة للإمام محمد عبده

أولاً: اسمه ونسبه:

هو: محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني[١]، وكان جده لأمه السيدة جنية[٢] من عمداء محافظة البحيرة[٣]، التي ولد فيها، ويرجع في أصله إلى بني عدي، الذين كانوا يقيمون بالصعيد[٤]، وأسرة الإمام محمد عبده من جهة أبيه تنتمي إلى التركمان الذين لم يكونوا من المماليك المبتاعين، بل كانوا وافدين يكوّنون فرقة في الجيش لبراعتهم في الفنون العسكرية، وقد استقر أجداد محمد عبده في مصر نحو ثمانية قرون،

---

(١) هو الأمير بدر الدين محمد بن الأمير فخر الدين عيسى التركماني، ترقى في المناصب حتى ولي الجيزة، وتقدم حتى ولي أمر الدواوين، ومن ثم استقل بالتدبير وحده، وكان مهيباً صاحب كلمة نافذة، مات سنة ثمان وسبعين وسبعمائة.
ينظر: الخطط التوفيقية العديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ــ على باشا مبارك ــ ص ٢٧٩.

(٢) من أعلام التربية العربية الإسلامية (٢٨٩/٤)، د.محمد مصطفى هدارة نقلاً عن كتاب "المعاصرون"، محمد كرد، ص ٣٤٨.

(٣) تسمى "بُحَيْرَة" الإسكندرية: وهذه ليست بحيرة ماء، وإنما هي كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. " ينظر: معجم البلدان ــ ياقوت الحموي ــ ٤١٧/١.

(٤) الصعيد: تقرأ بالفتح ثم الكسر ــ والصعيد بمصر بلاد واسعة كبيرة فيها عدة مدن عظام منها أسوان وهي أوله من ناحية الجنوب؛ والصعيد تسعمائة وسبع وخمسون قرية، ولها آثار قديمة ترجع إلى حضارات قديمة " معجم البلدان ٤٦٣/٤ (بتصرف).

ورسخت جذورهم في التربية المصرية، ولم يعد لنسبة التركمانية أثر يذكر في أصول محمد عبده، بل نرى بعض الباحثين يضيفون إليه نسبة (المصري)، وكأنهم بإثباتها أرادوا نفي أية أصول أخرى أصبحت في عداد التاريخ.[١]

وقد حدَّث الإمام محمد عبده عن نفسه فقال: " كنت أسمع المزَّاحين من أهل بلدتنا يلقبون بيتنا ببيت التركمان، فسألت والدي عن ذلك، فأخبرني أن نسبنا ينتهي إلى جدّ تركماني جاء من بلاد "التركمان"، وقال: أما بيت والدتي فيقال أنه عربي قرشي، وأنه يتصل في النسب بعمر بن الخطاب ﷺ، لكن ذلك كله روايات متوارثة لا يمكن إقامة الدليل عليها "[٢].

ثانياً: مولده ونشأته:

ولد في شبرا، وهي قرية من قرى مديرية الغربية بمصر سنة (١٢٦٦هـ ١٨٤٩م)، ونشأ في محلة نصر[٣] بالبحيرة، وورد في كتاب "من أعلام التربية الإسلامية " أنه ولد في حصة شبشير[٤] بمحافظة الغربية بمصر، ثم

(١) الأعلام ــ الزركلي ٢٥٢/٦، معجم المؤلفين ــ عمر رضا كحالة ٤٧٤/٣.

(٢) منهج المدرسة العقلية ــ فهد بن عبد الرحمن الرومي، ١٢٤/١ نقلاً عن تاريخ الأستاذ الإمام ١ /١٦.

(٣) محلة نصر: من قرى مركز " شبراخيت " بإقليم البحيرة، وهي من القرى الصغيرة في أقاليم الريف. "موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين ــ خليل أحمد خليل ٦٩/١ "

(٤) من قرى أرض مصر السفلى، ينسب إليها يحيى بن نافع مولى هذيل، كان يقال له الهُذلي الشبشيري، يكنى أبا حبيب، توفي سنة ٢٩١هـ. ينظر: معجم البلدان ٣ / ٣٦٤.

نشأ في بلدة آبائه وأجداده من جهة أبيه "محلة نصر"، وهي إحدى قرى مركز شبراخيت بمحافظة البحيرة، وقد استقر أجداد محمد عبده في مصر نحو ثمانية قرون، ورسخت جذورهم في التربية المصرية، ولم يعد لنسبة التركمانية أثر يذكر في أصول محمد عبده، ويعلق ناشر الكتاب على ما ورد في " الأعلام " للزركلي من أن مكان ميلاده قرية " شنرا " يقول: " هكذا رسمها الزركلي في الأعلام (شنرا)[1] ولا أدري من أين أتى بهذا الاسم " [2].

وحفظ الإمام القرآن بالقرية وهو في السابعة من عمره، وتأثر في حياته الأولى بنزعات الصوفية، فقد كان خاله لوالده الشيخ درويش خضر، وقد ألقى إليه ببعض من حكمة التصوف وقاده إلى شيء من سلوك الصوفية، وانتقل من التصوف والتنسك إلى "الفلسفة الصوفية "، وقد كتب مقدمة لرسالة الواردات الفلسفية التي أملاها الأفغاني سنة ١٢٠٩هـ ــ ١٨٧٢م، وهي أول الآثار الفكرية له، ولم تنشر إلا بعد وفاته.[3]

ونخلص من نشأته: أن الأستاذ الإمام عاش حياته الأولى بين نزعات الصوفية وتيار المتكلمين من الفلاسفة وأهل المنطق، مما جعله يستقل في تفكيره، ويرخي لعقله العنان، ويجعله الحكم على كثير من الأمور، ما أثر

(١) كلمة (شنرا) فيها تضعيف، والصحيح أنها (شبرا) وهي في جمهورية مصر العربية.

(٢) من أعلام التربية العربية الإسلامية ــ مكتب التربية العربي لدول الخليج ٢٨٩/٤ ــ ٣٢١.

(٣) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، د.محمد عمارة، ١ /١٩ ــ ٢١ بتصرف واختصار.

على كثير من القضايا التفسيرية، والمتعلقة بعلوم القرآن في تفسيره ــ كما سنرى من خلال هذا البحث..

ثالثاً: البيئة وأثرها في تشكيل عقليته:

" لقد كان للبيئة التي عاش فيها الإمام سواء على مستوى الأشخاص الذين تأثر بهم، أو على مستوى مجريات الأحداث أثر في تشكيل عقليته، فقد كان في أول عهده خير منتصر للإسلام من البدع والخرافات، وبحرقة ظهرت في مقالاته تدل على غيرة إسلامية نادرة، وكان في ثانيهما مستسلماً لأكثر ما تقضي به المدينة الحديثة " [١]. ولقد تأثر في حياته بشخصين:

أولهما: الشيخ درويش خضر: أحد أخوال والده، حيث تفتحت على يده عقليته في مراحلها الأولى، فألقى إليه ببعض من حكمة التصوف وقاده إلى شيء من سلوك الصوفية. [٢]

أمَّا الثاني: فهو السيد جمال الدين الأفغاني: حيث التقى به عندما زار مصر للمرة الثانية سنة (١٢٨٨هـ ١٨٧١م) ولازم مجلسه، وانتقل به الأفغاني من التصوف والتنسك إلى " الفلسفة الصوفية "، وقد واصل بعد تخرجه من امتحان العالمية سنة (١٢٩٤هـ ١٨٧٧م) تدريس كتب المنطق والكلام.[٣]

---

(١) السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، د. محمد سعيد البوطي، ص ٢٣٥.

(٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ١ / ٢٠.

(٣) المرجع السابق ١ / ٢١.

إلا أنه بعد نفيه خارج وطنه وعودته اتخذ منحى آخر،إذ نادى بأن طريق الإصلاح هو تنقية الفكر من الخرافات، والاتجاه إلى إصلاح التعليم [١].

رابعاً: شيوخه وتلاميذه:

(١) **شيوخه:** من الأوائل الذين تأثر بهم وأخذ عنهم "درويش خضر"، ثم السيد جمال الدين الأفغاني، وأخذ عنه وتأثر به كثيراً، حيث وجهه نحو الصحافة التي تعلق بها طوال حياته، والشيخ حسن رضوان[٢]. أما من تأثر بهم الإمام في بداية حياته وأخذ عنهم مع مخالفته لهم في كثير من الأمور بعد ذلك فكثير، منهم: حجة الإسلام الغزالي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، فإن لهؤلاء أعظم الأثر في تشكيل شخصية الإمام في بداية حياته العلمية [٣].

(٢) **تلاميذه:** لقد ترك مدرسة في التفسير ذات مكانة وتأثير، وكان من أهم رجالها السيد محمد رشيد رضا، والشيخ محمد مصطفى المراغي، والشيخ أحمد مصطفى المراغي[٤]، والشيخ محمد شاكر، والشيخ

---

(١) ينظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة ــ المستشار د. على جريشة، ص ٢٨٣، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د. على جريشة، ومحمد شريف الزيبق ص ٢٠٢.

(٢) ينظر: الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ١ /٢١، حاضر العالم الإسلامي ــ لوثروب ستودارد الأمريكي ٢٩٢/١.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ــ مجموعة من المستشرقين ــ مركز الشارقة للإبداع الفكري ــ العدد ٢٩، ص ٩١٦٧.

(٤) لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ــ محمد الصباغ، ص ٢١٩.

مصطفى عبد الرازق[١]، ومن تلاميذه الشيخ محمود شلتوت[٢]، والشيخ عبد الحميد ابن باديس[٣]،وغيرهم.وعلى الرغم من ملازمة كثير من الطلاب والمريدين للأستاذ محمد عبده، إلا أن الشيخ رشيد رضا كان ألزمهم، فكان بحق الوارث الأول لعلمه، وظهرت ثمرة ذلك في تفسيره المسمى بتفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار[٤].

خامساً: مصنفاته العلمية:

له مصنفات عديدة أذكر منها:

١ ــ الإسلام والرد على منتقديه، طبعة السعادة ١٣٢٧هـ.

٢ ــ الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، وهي مقالات نشرت في مجلة المنار الطبعة الثانية ١٧٢٣هـ.

٣ ــ إصلاح المحاكم الشرعية ــ مصر ١٣١٧هـ.

٤ ــ تفسير جزء عم، بولاق ١٣٣٢هـ.

٥ ــ تفسير سورة العصر، طبع مراراً.

---

(١) " أعلام العرب " عبقري الإصلاح والتعليم الأستاذ محمد عبده ــ عباس محمود العقاد ــ ٢٥٦/١.

(٢) المرجع السابق، ١ / ٢٥٦.

(٣) الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير، ص ٤٠.

(٤) مباحث في علوم القرآن ــ مناع القطان، ص ٣٧٢.

٦ ــ تفسير القرآن الحكيم (الشهير بالمنار) من أول القرآن إلى الآية (١٢٦) من سورة النساء.

٧ ــ تقرير مفتي الديار المصرية في إصلاح المحاكم الشرعية.

٨ ــ رسالة التوحيد، مطبوع ١٣٢٤هـ.

٩ ــ رسالة في الرد على " مسيو هانو تو " [وزير خارجية فرنسا].

١٠ــ شرح مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني.

١١ــ العروة الوثقى لا انفصال لها " أنشأها مع جمال الدين الأفغاني ".

١٢ــ مقتبس السياسة " وهو كتاب أمير المؤمنين على بن أبي طالب لأحد ولاته "شرح ألفاظه محمد عبده ــ مصر سنة ١٣١٧هـ ".

١٣ــ منشآت الشيخ محمد عبده.

١٤ــ رسالة " الواردات " في الفلسفة والتصوف ــ جمال الدين الأفغاني ــ "حيث كتب لها مقدمة لم تنشر إلا بعد وفاته ".

١٥ــ شرح البصائر النصيرية في المنطق ــ للطوسي.

وغير ذلك من الكتب التي وجد بعضها وفقد الآخر [١].

(١) ينظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة ٢ / ١٦٧٨، من أعلام التربية العربية الإسلامية ٤ / ١٣٠٥، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ١ / ٣١، دائرة المعارف، العدد ٢٩، ص ٩١٦٧.

سادساً: وفاته:

توفي بالإسكندرية ودفن بالقاهرة في الحادي عشر من شهر يوليو سنة ١٣٢٣هـ ـ ١٩٠٥م، وقد كانت وفاته الساعة الخامسة مساء ذلك اليوم، عن سبع وخمسين سنة، ودفن بمقبرة العفيفي، ونقش على قبره "هو الحي الباقي"(١).

(١) ينظر: معجم المؤلفين ٣ / ٣٧٤، أعلام العرب، عبقري الإصلاح والتعليم، الأستاذ محمد عبده، عباس محمود العقاد، ١ / ٢٧٦.

(المبحث الثالث)

ترجمة موجزة للشيخ محمد رشيد رضا

أولاً: اسمه ونسبه:

هو محمد رشيد بن علي بن رضا بن محمد بن شمس الدين بن السيد بهاء الدين بن السيد منلا علي خليفة البغدادي.(١)

ويذكر الدكتور فهد الرومي أنه يحرص في كل مناسبة أن يؤكد نسبه إلى بيت رسول الله ﷺ، فنراه يقول عن الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه " جدنا المرتضي عليه السلام "، ويقول " جدنا الحسين عليه السلام "، ويقول " جدنا الإمام جعفر الصادق عليه السلام " (٢).

ثانياً: مولده ونشأته:

ولد يوم الأربعاء في جمادى الأولى سنة ١٢٨٢هـ، الموافق سنة ١٨٦٥م في قرية " قلمون"(٣) جنوب طرابلس الشام، وهي تقع على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان.

---

(١) ينظر: معجم المؤلفين ٢٢٩٣/٣ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي ٨٠٣/٢

(٢) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ١/ ١٧٠ نقلاً عن مجلة المنار ١٣٢/١٣، ٧٨/١٥.

(٣) قلمون: بفتح الأول والثاني ــ موضع يلي غوطة ــ دمشق " ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، الأندلس ٣ / ١٠٩٢ ؟

وكان لأبيه مجلس أدب ووقار، وكان له منزلة عند الناس، وعندما شبَّ محمد رشيد رضا عن الطوق تأثر بأبيه وورث عنه الكثير من الخصال الخلقية والعلمية، وقد لاحت علامات الذكاء عليه منذ طفولته، إذ اتضح ميله إلى مجالس العلماء، وقد تميز بقدرة خارقة على الفهم السريع، وحفظ المعاني لما يلقى أمامه من قول، وقد اهتم بالعلوم الإسلامية، وما يتصل بها من فروع المعرفة، فالتحق أولاً بكتاب قرية " القلمون "، وتعلم فيه قراءة القرآن الكريم، والخط، وقواعد الحساب، ثم انتقل إلى المدرسة الرشيدية بطرابلس الشام، وكانت مدرسة ابتدائية تعني بالنحو، والصرف، والحساب، ومبادئ الجغرافيا وعلوم الشريعة، والتحق بعد ذلك بالمدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس سنة ١٢٩٩هـ ١٨٨٢م، وكان في الثامنة عشرة من عمره، وأنشأ هذه المدرسة أحد علماء الشام، وهو (الشيخ حسين الجسر)[١]، الذي صار الأستاذ الأول لمحمد رشيد رضا، وظل مرتبطاً بأستاذه ينهل من علمه، وهو الذي أتاح له الكتابة في صحف طرابلس، حتى صار ما يكتبه موضع اهتمام القراء، وظل العون من أستاذه له حتى نال على يديه الإجازة في هذه المواضيع سنة ١٣١٤هـ ١٨٩٧م.

(١) الشيخ حسين الجسر الطرابلسي بن محمد بن مصطفى ولد سنة ١٢٦١هـ بمدينة طرابلس الشام، توفي في طرابلس في شهر رجب سنة ١٣٢٧هـ " ينظر: الأعلام ـ الزركلي ـ ٢٥٨/١٠، الأعلام الشرقية ـ زكي مجاهد، ١ / ٣٠٢.

وقد تأثر في حياته ــ أيضاً بأستاذ آخر: هو السيد جمال الدين الأفغاني حيث راسله وهو في الأستانة [١]، وبعد وفاته رحل إلى مصر للاتصال بوارث علمه وحكمته الإمام محمد عبده [٢].

ثالثاً: منزلته العلمية:

بدأ السيد محمد رشيد رضا نشاطه العلمي في مسقط رأسه " قرية القلمون " حيث خصها بنصيب كبير من نشاطه الإصلاحي المبكر، فكان يقرأ للرجال الدروس في المسجد، ويحاول أن يجعل من خطب الجمعة سبيلاً لحمل الناس على التمسك بشعائر دينهم.

وكان إنشاء مدرسة الدعوة والإرشاد من أبرز الأعمال التي جاهد لإنجازها، وأنفق من الجهد والوقت والمال ما أنفق لتحقيق هذه الفكرة، وكان القصد منها ــ تحت إشراف الأستاذ الإمام محمد عبده ــ تخريج علماء مرشدين قادرين على الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه[٣]. واشتغل بالصحافة والسياسة، وعاش مفكراً أديباً وباحثاً في مجال الفقه، والحديث، والتفسير، وكان مربياً إسلامياً من الدرجة الأولى.

---

(١) الأستانة (اسطنبول أو استانبول): أكبر مدن تركيا، وتعد المدينة الكبيرة الوحيدة الواقعة في قارتين هما آسيا وأوربا، كانت عاصمة الدولة العثمانية. (ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، ١ / ٧٦٧).

(٢) أعلام العرب رشيد رضا الإمام المجاهد ــ الدكتور العدوي ٣٣١ / ٩٨.

(٣) من أعلام التربية العربية الإسلامية ٤ / ٣٣٥.

التقى بالإمام محمد عبده، وأنشأ مجلة المنار سنة ١٨٩٨م، والتي استمرت متوالية الصدور حتى سنة ١٩٣٥م، وكانت زاخرة بالدراسات الإسلامية[١]، وختم نشاطه العلمي بتفسير المنار، فكان تفسيراً فيه التنوع، يشرح الآيات بأسلوب رائع، ويكشف عن المعاني بعبارات سهلة،ويرد على ما أثير حول الإسلام من شبهات خصومه، ولم يتسن للإمام كتابة أكثر من جزء، أو جزأين[٢].

رابعاً: مصنفاته العلمية: أبرزها:

١ ــ تاريخ الأستاذ في ثلاث مجلدات.

٢ ــ نداء للجنس اللطيف " حقوق النساء في الإسلام ".

٣ ــ الوحي المحمدي.

٤ ــ المنار والأزهر.

٥ ــ ذكرى المولد النبوي.

٦ ــ الوحدة الإسلامية.

٧ ــ يسر الإسلام وأصول التشريع العام.

٨ ــ الخلافة أو الإمامة العظمى.

---

(١) إتقان البرهان في علوم القرآن، أ.د/ فضل عباس ٢٨٨/٢.

(٢) ينظر: تاريخ الفلسفة الإسلامية، د. ماجد فخري، د. كمال اليازجي ص ٤٧٢، التفسير النبوي للقرآن الكريم، وموقف المفسرين منه، د. محمد إبراهيم عبد الرحمن، ص ١٨٨.

٩ ــ الوهابيون والحجاز.

١٠ــ السنة والشيعة.

١١ــ مناسك الحج، أحكامه وحكمه.

١٢ــ تفسير القرآن الكريم، المعروف بتفسير المنار.

١٣ــ حقيقة الربا.

١٤ــ مساواة الرجل بالمرأة.

١٥ــ رسالة في حجة الإسلام الغزالي.

١٦ــ شبهات النصارى وحجج المسلمين.

١٧ــ تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن.

١٨ــ ترجمة القرآن.

١٩ــ عقيدة الصلب والفداء.

٢٠ــ محاورات المصلح والمقلد. (١)

بالإضافة إلى المقالات والرسائل التي لا تحصى كثرة.

(١) ينظر: أعلام العرب: محمد رشيد رضا الإمام المجاهد، د. إبراهيم العــدوي ٣٣ /٢٧٠، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ٢ / ٨٠٥، معجم المطبوعات العربية والمعربة ٩٣٤/١.

خامساً: تحذيره من خطر اليهود:

شنَّ السيد محمد رشيد رضا في المنار حملات شديدة ضد الصهيونية، وحليفتها إنجلترا آنذاك، وأظهر علماً غزيراً في فهم تاريخ اليهود، واستخلاص أقوى العبر والعظات منه، فذكر أنهم في كل مكان نزلوا به أثاروا الريبة والشكوك حولهم بسبب أطماعهم الفاسدة. وأوضح أن اليهود تنكروا لكل تعهد قطعوه على أنفسهم، وأنهم غير جديرين بالثقة، وأن الواجب يقتضي إنقاذ فلسطين من شرهم، وبالتالي إيقاف هذا السم الزعاف من الامتداد إلى سائر أرجاء الوطن العربي.(١)

يقول السيد محمد رشيد رضا محذراً من خطر اليهود: " ولكنهم يعتقدون اعتقاداً دينياً أنهم سيقيمون المُلك أو سوف يقيمونه في البلاد المقدسة، وقد ادخروا لذلك مالاً كثيراً، فيجب على العثمانيين أن لا يمكنوا لهم في فلسطين، ولا يسهلوا لهم طرق امتلاك أرضها، وكثرة المهاجرة إليها، فإن في ذلك خطراً كبيراً " (٢).

سادساً: وفاته:

توفي في جمادى الأولى سنة ١٣٥٤هـ (أغسطس سنة ١٩٣٥م) بمصر الجديدة، ودفن بجوار الأستاذ الإمام محمد عبده بالقاهرة. (٣)

❁❁❁

(١) أعلام العرب ٣٣ / ٢٦٣.

(٢) تفسير المنار ٦ / ١٦٠.

(٣) ينظر: أعلام العرب ٣ / ٢٨١، الموسوعة العربية الميسرة مجموعة من الباحثين: ١٦٦٠/٢.

(المبحث الرابع)

ترجمة موجزة للسيد محمد بهجة البيطار

أولاً: مولده:

محمد بهجة بن بهاء الدين عبد الغني بن حسن بن إبراهيم،الشهير بالبيطار يرجع أصل الأسرة إلى الجزائر، ولد بدمشق عام ١٣١١هـ ١٨٩٤م، وكان والده عالماً أديباً شاعراً، تلقى مبادئ العلوم واللغة عن والده.

ثانياً: شيوخه:

تابع دراسته العالية في العلوم الدينية، والعربية، والعقلية على يد والده، وعلى شيوخ عصره الأعلام الشيخ جمال الدين القاسمي (توفي عام ١٣٣٢هـ) والشيخ محمد الخضر حسين التونسي، نزيل دمشق (توفي عام ١٣٧٧هـ)، والشيخ بدر الدين الحسيني (توفى عام ١٣٥٤هـ)، وقد حصل على إجازتهم في مختلف العلوم العقلية والنقلية.

ثالثاً: نشاطه وعمله:

تولى الخطابة والإمامة والتدريس سنة ١٣٢٨هـ في جامع القاعة بحي الميدان خلفاً لوالده.

وفي سنة ١٣٣٥هـ تولى الخطابة والتدريس في جامع كريم الدين الشهير بالدقاق خلفاً لخاله، وظل يخطب ويدرس مختلف العلوم في هذا الجامع حتى وفاته، لم ينقطع إلا لسفر أو مرض.

وفي سنة ١٣٤٠هـ عينته مديرية معارف دمشق معلماً في مدرسة الميدان الابتدائية، وبقي فيها حتى سنة ١٣٤٦هـ، حين استأذن بعدها للسفر إلى الديار المقدسة، ولم يعد بعدها إلى وظيفته، وفي سنة ١٣٤٢هـ الموافق ١٩٢٣م انتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي.

وفي سنة ١٣٤٥هـ اشترك بمؤتمر العالم الإسلامي الذي عقد في مكة المكرمة، وبعد انتهاء المؤتمر استبقاه الملك عبد العزيز آل سعود ليشرف على المعهد العلمي السعودي، فمكث خمس سنوات يدير المعهد، قلده الملك خلالها المناصب القضائية والعلمية التالية: عضو محكمة مكة الشرعية الكبرى، ثم نائب رئيس لهيئة الرقابة القضائية، ثم عين مفتش التعليم في مدارس الحجاز، فأستاذاً لمادتي التوحيد والتربية، ثم عضواً في مجلس المعارف العمومية في الحرم الشريف، ثم عاد سنة ١٣٥٠هـ إلى دمشق، وأعيد تعيينه من قبل المعارف في مدارس حي الميدان الابتدائية، وفي سنة ١٣٥٣هـ تولى التدريس في كليتي المقاصد الخيرية للبنين والبنات في بيروت لبعض الوقت، عينته دار الإفتاء سنة ١٣٥٥هـ مدرساً عاماً في مدارس دمشق، ولما عزمت الحكومة السعودية على إنشاء "دار التوحيد السعودية" في الطائف أعلن الملك عبد العزيز آل سعود عن رغبته أن يتولى إدارة المعهد، فأوفدته الحكومة السورية ليقيم في الطائف ثلاث سنوات.

وفي سنة ١٣٦٧هـ درس مادتي التفسير والحديث في كلية الآداب بالجامعة السورية، وفي سنة ١٣٧٤هـ ١٩٥٣م أحيل إلى التقاعد، فقصر نشاطه على محاضرات في التفسير كلف بإلقائها في كلية الشريعة،وعلى التدريس الديني، ووظائف وزارة الأوقاف، وانتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق، وعضواً مراسلاً للمجمع العلمي العراقي، وعندما تم توحيد مجمعي دمشق والقاهرة سنة ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م، باسم مجمع اللغة العربية، كان عضواً فيهما، وكان أكثر أعضائه نشاطاً، واستمر مشاركاً في إلقاء المحاضرات العامة، والأبحاث، حتى أقعده المرض.

رابعاً: مؤلفاته: أهمها:

١ ــ كتاب الرحلة النجدية الحجازية " صور من حياة البادية ".

٢ ــ نقد عين الميزان، ألفه انتصاراً للشيخ جمال الدين القاسمي، وأئمة الرواية في الأخذ عن كل ثقة ثبت.

٣ ــ حياة شيخ الإسلام ابن تيمية.

٤ ــ رسالة " الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة ".

٥ ــ تفسير سورة يوسف، أكمل ما بدأه الشيخ رشيد رضا.

وحقق مجموعة من الكتب منها:

ــ تفسير محمد رشيد رضا ــ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث

وله بحوث منها: حجة الإسلام أبي حامد الغزالي. بالإضافة إلى مقالات مستفيضة في مجلة مجمع اللغة العربية.[١]

خامساً: وفاته:

توفي بدمشق عام ١٣٩٦هـ الموافق ١٩٧٦م [٢].

❁❁❁

(١) ينظر: تاريخ علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري، نزار أباظة، محمد مطيع الحافظ (٢ / ٩٢٠ ــ ٩٢٣)، معجم المؤلفين ٣ / ١٧٣.

(٢) معجم المؤلفين ٣ / ١٧٣.

الفصل الثاني

أهم قضايا علوم القرآن في تفسير المنار

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تفسير المنار وأسباب النزول.

المبحث الثاني: إنكار أصحاب المنار للنسخ.

المبحث الثالث: التأويل.

المبحث الرابع: علم المناسبات.

(المبحث الأول)

تفسير المنار وأسباب النزول

وتحته مطالب:

أولاً: تعريف سبب النزول:

إن مبحث أسباب النزول من أهم المباحث التي تعرض لها العلماء والمفسرون ولأهميتها أفرد لها كثير من العلماء بالتصنيف(١)، ولقد حاول بعض المتأخرين النيل من هذه القضية، إما برد كثير منها، أو بادعاء أنها لا قيمة لها، فما معنى سبب النزول، وما فوائده ؟

سبب النزول لغة: النُزول الحلول، تقول: نَزَل يَنْزِل نُزُولاً ومَنْزِلاً، وأنْزَلَهُ غيره واستَنْزَلَهُ بمعنى، ونَزَّلَهُ تَنْزِيلاً، والتنزيل أيضا الترتيب، والتنزيل: النزول في مهلة، ونزل من عُلُوٍ إلى سُفْل: انحدر، والمَنْزِلة: موضع النُزُول(٢).

واصطلاحاً: ما نزلت الآية أو الآيات أيام وقوعه متضمنة له أو مبينة لحكمه(٣) أي: ما كان الحدث فيها نابعاً من البيئة والزمان اللذين وقع فيهما الحدث، فيكون سبب النزول حكماً شرعياً، أو إجابة على حادثة معينة.

---

(١) منهم علي بن المديني شيخ البخاري، والواحدي، وأبو الفضل ابن حجر العسقلاني، والإمام السيوطي.

(٢) ينظر: القاموس المحيط ــ الفيروز آبادي، ١٧١/٣، لسان العرب ــ ابن منظور ١٩ / ٦٥٦ ــ ٥٨ مختار الصحاح: زيد الدين الرازي ٣١٠/١.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: السيوطي ٦٧٨، مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني ٩٩/١، إتقان البرهان في علوم القرآن، أ.د. فضل عباس ١/ ٢٥٣.

وأسباب النزول لا يحل القول فيها إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها [١]، وهم الصحابة ﷺ.

الحوادث القديمة، وقصص الأنبياء السابقين لا تعتبر أسباباً للنزول: لأنها لم تقع في زمن النبيﷺ، لذا أخذ على الواحدي (ت٤٦٨هـ) جعله قدوم الأحباش إلى البيت الحرام بالفيلة سبباً لنزول سورة الفيل [٢].

قال السيوطي (ت٩١١هـ) في الإتقان: " والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه، ليخرج ما ذكره الواحدي في تفسيره في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية كذكر قصة نوح، وعاد، وثمود.."[٣].

ثانياً: فوائد معرفة أسباب النزول:

زعم البعض أنه لا فائدة من الإلمام بأسباب النزول، وأنها لا تعدو أن تكون تاريخاً للنزول، أو جارية مجرى التاريخ، وهذا خطأ بَيِّن، فلأسباب النزول فوائد لا تحصى، ويكفي أنه لا يستطيع الإنسان أن يفهم كتاب الله تعالى في كثير من المواضع إلا بعد معرفة أسباب نزولها. وأبرز هذه الفوائد:

---

(١) ينظر: أسباب النزول: الواحدي، ص ٤٠٣ بتصرف.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠٦.

(٣) الإتقان: ١ / ٣١.

١ ــ الاستعانة على فهم الآية ودفع الإشكال عنها.

٢ ــ معرفة حكمة الله على التعيين فيما شرعه بالتنزيل.

٣ ــ أنه قد يكون اللفظ عاماً، ويقوم الدليل على التخصيص.

٤ ــ دفع توهم الحصر(١) عما يفيد بظاهرة الحصر (٢).

قال الواحدي: " إذ هي ــ أسباب النزول ــ أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها "(٣).

وقال الشاطبي (ت٧٩٠ هـ): معرفة أسباب النزول لازمة لمن أراد علم القرآن، والدليل على ذلك أمران:

---

(١) الحصر معناه في اللغة: الضيق والحبس والعي في النطق، كما يأتي بمعنى المنع، وكل من امتنع من شيء فلم يقدر عليه فقد حصر عنه، ويأتي بمعنى البخل. " ينظر: القاموس المحيط، ص ٤٨٠، مختار الصحاح مادة " حصر" ص ٥٩، وينظر في تفصيل هذه المعاني: المفردات ــ الراغب الأصفهاني ص ١٢٠ ــ ١٢١.
أما معنى الحصر ــ ويقال له القصر ــ عند علماء علوم القرآن فهو " تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص، ويقال أيضاً " إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه ". ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ــ القزويني ١ /٤١، والإتقان ٤٩/٢، البلاغة أفنانها وفنونها ــ د. فضل حسن عباس ٢١ / ٣٥٨.
ومن الأمثلة على ذلك: أنك إذا أردت أن تصف الجاحظ أنه كاتب فقط، وليس بشاعر ولا خطيب فإنك تقول: ما الجاحظ إلا كاتب، فأنت قصرت، أو حصرت الجاحظ بالكتابة دون غيرها " البلاغة أفنانها وفنونها ٣٦٧/٢.

(٢) مناهل العرفان ١ / ١٠٥.

(٣) أسباب النزول، ص ١٢.

أحدهما: أن علم المعاني والبيان[1] الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطِب، أو المخاطَب، أو الجميع إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك، كالاستفهام: لفظه واحد، ويدخله معان أخر من تقرير، وتوبيخ، وغير ذلك. وكالأمر: يدخله معنى الإباحة، والتهديد، والتعجيز، وأشباهها.

ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجة، وعمدتها مقتضيات الأحوال، وليس كل كلام ينقل ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة أو فهم شيء منه، ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال.

---

(١) **علم المعاني:** هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي الذي يطابق مقتضى الحال بحسب الوضع اللغوي. ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب ــ ابن حجة الحموي ٢٣/١، الإيضاح في علوم البلاغة ٥٤٠/١، التعريفات ــ الجرجاني ٢٠١/١.

وعلم البيان: هو علم يعرف به إيراد المعني الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، ودلالة اللفظ إما على ما وضع له أو على غيره، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة، والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء النحو والإعراب. " ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني ١ /٢٠١، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير ١٢٦/١.

والثاني: هو أن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنه وقوع النزاع" [1].

وقال ابن عاشور (ت ١٣٩٤هـ): إن من أسباب النزول ما ليس المفسر بغنى عن علمه.. ومنها ما يكون وحده تفسيراً، ومنها ما دل المفسر إلى طلب الأدلة التي بها تأويل الآية.. ومنها ما ينبه المفسر إلى إدراك خصوصيات بلاغية تتبع مقتضى المقامات، وذكر أن ما ذكره المفسرون في كتبهم وما نقلوه من أسباب النزول لا يخرج عن أحد خمسة أشكال.

الأول: هو المقصود من الآية: يتوقف فهم المراد منها على علمه، فلابد من البحث عنه للمفسر، وهذا منه تفسير مبهمات القرآن مثل قوله تعالى: ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا** ﴾[2].

الثاني: هو حوادث تسببت عليها تشريعات أحكام: وصور تلك الحوادث لا تبين مجملاً، ولا تخالف مدلول الآية بوجه تخصيص أو تعميم أو تقييد[3]، ولكنها إذا ذكرت أمثالها وجدت مساوية لمدلولات الآيات النازلة عند حدوثها، مثل حديث كعب بن عجرة الذي نزلت فيه آية:

---

(١) الموافقات: ٣ / ٣٤٧.

(٢) سورة المجادلة من الآية ١.

(٣) **الفرق بين التخصيص والتقييد:** الخاص: هو المخرج من العام بمخصص متصل أو منفصل. أما المقيد: ما ذكر باسمه مقروناً بشيء من صفاته، أو متعلقاته إما إثباتاً أو نفياً. "تلخيص الأصول: حافظ ثناء الله الزاهدي ١٦ ــ ٢١ ".

﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ** ﴾[1] الآية، فقد قال كعب بن عجرة: هي لي خاصة ولكم عامة..

الثالث: حوادث تكثر أمثالها تختص بشكل واحد: فنزلت الآية لإعلانها وبيان أحكامها، وزجر من يرتكبها، وهو قول المفسرين كثيراً نزلت في كذا وكذا.

الرابع: حوادث حدثت وفي القرآن آيات تناسبها في المعنى تكون سابقة لها، أو لاحقة فيقع في عبارات بعض السلف ما يوهم أن تلك الحوادث هي المقصود من تلك الآيات مع أن المراد أنها مما يدخل في معنى الآية.

الخامس: قسم يبين مجملات، ويدفع متشابهات: مثل ما أشكل على الصحابة من قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ [2]، فإن الظلم هو الشرك [3].

=أمثلة على التخصيص:قوله تعالى: " **إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا** ".سورة العصر ٢،٣ خصص بـ "إلا"، وقوله تعالى: " **وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** " سورة آل عمران من الآية ٩٧، تخصيص بالوصف.

أمثلة على التقييد: قوله تعالى " **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ** " سورة النساء من الآية ٩٢، وقوله تعالى: " **فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ** " سورة البقرة من الآية ١٩٦، فالتقييد يرد على لفظ مطلق وهو الدال على الماهية بلا قيد نحو " رقبة "، " أيام ".

(١) سورة البقرة من الآية ١٩٦.

(٢) سورة الأنعام من الآية ٨٢.

(٣) التحرير والتنوير: ١ / ٤٧ (بتصرف واختصار).

ومن الأمثلة على أن معرفة سبب النزول معين على فهم الآية:

المثال الأول: روي أن مروان[١] أرسل بوابه إلى ابن عباس وقال: قل لـه لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لـم يفعـل معـذباً، لنعذبن أجمعون"[٢]. فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية ؟ إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد اسـتحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم. ثـم قـرأ: ﴿ **وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ** ﴾ [٣]. فهـذا الـسبب بـين أن المقصود من الآية غير ما ظهر لمروان.[٤]

---

(١) أبو الحكم، وقيل: أبو عبد الملك مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، توفي النبي ﷺ ومروان ابن ثماني سنين، بويع له بالخلافة بالجابية من الشام في رجـب سنة أربع وستين، قال ابن كثير: وقد كان مروان من سادات قريش وفضلائها، وقد كان عثمان ابن عفان يكرمه ويعظمه وكان كاتب الحكم بين يديه.. " ينظر: مآثر الإنافة فـي معالم الخلافة أحمد بن عبد الله القلقشندي ١ /٢٤، البداية والنهاية ــ ابن كثير ٨ / ٢٥٧.

(٢) يشير إلى قوله تعالى: " **لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَـمْ يَفْعَلُواْ** " سورة آل عمران من الآية ١٨٨،

(٣) سورة آل عمران الآيتان ١٨٧، ١٨٨. والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٨ / ٢٣٣ برقم ٤٥٦٨

(٤) وقد ذكر الإمامان: الزركشي والسيوطي القصة في سياق الاستدلال علـى فوائـد العلـم بأسباب النزول ــ وأن منهما إزالة الإشكال..

المثال الثاني: روي أن عمر استعمل قدامة بن مظعون[١] على البحرين، فقدم الجارود [٢] على عمر فقال: إن قدامة شرب فسكر، فقال عمر: من يشهد على ما تقول ؟ قال الجارود: أبو هريرة يشهد على ما أقول. فقال عمر: يا قدامة إني جالدك، قال: والله لو شربت كما يقولون ما كان لك أن تجلدني، قال عمر: ولم ؟ قال: لأن الله يقول: ﴿ **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ**﴾ [٣]، فقال عمر: إنك أخطأت التأويل يا قدامة إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله.[٤]

ففي الأثرين بيان أن الغفلة عن أسباب التنزيل تؤدي إلى الخروج عن المقصود بالآيات.

ومن خلال هذين المثالين نستطيع أن نضيف فوائد أخرى لأسباب النزول إضافة إلى ما سبق، ومنها:

---

(١) **قدامة بن مظعون:** هو قدامة بن مظعون بن حبيب بن حذافة القرشي الجمحي، يكنى أبا عمرو، هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً وسائر المشاهد بعدها، واستعمله عمر على البحرين، توفي ﷺ سنة ست وثلاثين وهو ابن ثمان وستين، " ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٠١/٣، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر، ٣ /١٢٨.

(٢) هو صاحب رسول الله ﷺ بشر بن عمرو بن حبيش بن المعلى، ولقب بالجارود لأنه عزا بكر بن وائل فاستأصلهم وجردهم، وكان الجارود صهر أبي هريرة، قتل بأرض فارس سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر ﷺ، " الإصابة: ابن حجر، ١ / ٢٢٦.

(٣) سورة المائدة من الآية ٩٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٧ / ٣١٩، برقم ٤٠١١.

- إبراز الحكمة التي قصدها الشارع من الحكم: وذلك أن سبب النـــزول يحكي الملابسات والظروف والأوضاع التي كان الناس عليهـــا قبـــل تشريع الحكم، فبالرجوع إليه نتعرف على الحكم التي قصدها الشارع.
- معرفة تاريخ التشريع والأحوال الاجتماعية السائدة حتى نزول الأحكام التشريعية، والتدرج في تشريع بعض الأحكام لطفاً بالعبـــاد ومراعـــاة لتأصل بعض العادات في النفوس.
- مبادرة الشارع إلى حل المشاكل التي ضاق أصحابها بها ذرعاً، فيأتي الفرج الإلهي بعد الشدة، فيكون لهذا أثر طيب في النفوس.
- معرفة الأحداث التاريخية في زمن النبي ﷺ ــ من جهـــاده وأعمالـــه ومواقف المؤمنين بدعوته والجاحدين لها،فهي مصدر هام من مصادر السيرة النبوية
- معرفة أسباب النزول تيسير حفظ الآية وتثبتها فـــي الـــذهن لارتبـــاط الأسباب بمسبباتها، والأحكـــام بـــالحوادث، والحـــوادث بالأشـــخاص والأزمان والأماكن التي حدثت فيها، فمعرفة سبب النزول يعين علـــى استذكار الآية وانتقاشها في الذهن وفهم معناها، وهذا ما يـــسمى فـــي علم النفس بتداعي المعاني، حيث يذكر الإنسان الأشـــياء بـــذكر مـــا يقارنها. (٣)

(١) مجلة البحوث الإسلامية: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، ٣٢ / ٢٩٩٠ بتصرف.

ثالثاً: رد المنار لكثير من روايات أسباب النزول:

يرى بعض الناس أنه لا فائدة في أسباب النزول، فهي مجرد تاريخ يذكر فلا جدوى من ذكرها والاهتمام بدراستها، وهـذا رأي لـيس بـصحيح، فلأسباب النزول فوائد كثيرة من تدبرها علم أهميتها.

وبتتبع تفسير المنار نجد أن الأستاذ الإمام وتلميذه قـد ردا كثيـراً مـن روايات أسباب النزول مع صحتها، بل صرحا بهذا المنهج الذي اعتمـداه في أسباب النزول، وهاك أمثلة:

١ ــ يقول السيد محمد رشيد رضا في معرض ذمه لرواة أسباب النزول: "ومن عجيب شأن رواة أسباب النزول أنهم يمزقون الطائفة الملتئمة من الكلام الإلهي، ويجعلون القرآن عضين [١] متفرقة، بما يفككـون الآيات ويفصلون بعضها عن بعض، وبما يفصلون بين الجمل الموثقة في الآية الواحدة، فيجعلون لكل جملة سبباً مستقلاً "[٢].

٢ ــ ومن الأمثلة على رد روايات أسباب النزول ما ذكره الـسيد محمـد رشيد رضا وهو يفسر آيات تحويل القبلة إذ يقول: ".... وبعد هـذا كله أمر بالتحول أمراً صريحاً كما سيأتي في تفسير بقيـة الآيـات، أفيصح في مثل هذا السياق الموثق بعض جملة وآياته ببعض أن تفك وثقه ويجعل نتفاً نتفاً، ويقال إن كل جملة منه نزلت لحادثة حدثت، أو

(١) عضين: التَعْضِيةُ: التجزئة والتفريق، " القاموس المحيط ١ / ١٣١٢ ".
(٢) تفسير المنار: ٢ / ١١.

كلمة قيلت، وإن أدى ذلك إلى قلب الوضع وجعل الأول آخراً والآخر أولاً، وجعل آيات التمهيد متأخرة في النزول عن آيات المقصد ؟ أتسمح لنا اللغة والدين بأن نجعل القرآن عضين، لأجل روايات رويت، وإن قيل إن إسناد بعضها قوي بحسب ما عرف من تاريخ الراوين"[1].

والظاهر من اعتراضه على أسباب النزول أنه يريد الحفاظ على النص القرآني متماسكاً.

ويرد عليه: بأنه لا يسوغ رد رواية ثابتة في الصحيح. إذ من السهل أن تفهم الآيات في ضوء هذه الرواية الصحيحة، وأن تكون هذه الرواية معينة على فهم الآية بصورة أدق، وأن سبب النزول هو الذي يعطي الفهم المتكامل غير المقطع للآيات بخلاف ما ذكر.

٣ ــ ومن الأمثلة ــ كذلك ــ على رد روايات أسباب النزول وإن صحت، ما ذكر عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾ [2].

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: أما ما ذكروه في أسباب النزول لهذه الآية فقد أورد السيوطي منه في لباب النقول ما رواه الأئمة الستة البخاري

(١) السابق نفسه. ٢ / ١١.

(٢) سورة النساء الآية ٦٥.

ومسلم، وأصحاب السنن الأربعة عن عبد الله بن الزبير قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شِراجُ الحَرَّة [1]، فقال النبي ﷺ " اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك " فقال الأنصاري: يا رسول الله أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجهه ثم قال: " اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك " واستوعب للزبير حقه، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾.. [2].

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب أنها نزلت في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة اختصما في ماء فقضى النبي ﷺ أن يسقي الأعلى ثم الأسفل [3].

ثم قال: وهذه عين الرواية الأولى مختصرة وفيها جزم بأن الآية نزلت في هذه الواقعة، والصواب أن هذا اجتهاد من الرواة لانطباق الآية على الرواية.[4]

---

(١) شِراجُ الحَرَّة: الشراجُ جمع شَرْجَة، وهي مسيل الماء من الحرة إلى السهل، والحرة: أرض بظاهر المدينة ذات حجارة سوداء، " المغرب في ترتيب المعرب: أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن على المطرزي ١٠ / ٤٣٧، تفسير المنار ٥ / ٢٤٠.

(٢) صحيح البخاري: ٨ / ٤٥٣ برقم ٢٣٥٩.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٤ / ٢٣٢.

(٤) تفسير المنار: ٥ / ٢٣٩.

نقد ما ذكر: كيف يعترض صاحب المنار على هذه الرواية وقد وردت في الكتب الستة ؟ وكيف يقال إن هذا اجتهاد من الرواة ؟ وهل يصدر ذلك عن الصحابة ﷺ ؟ وهل يخفي عليهم التمييز بين الروايات ؟ !!

٤ ــ ويقول السيد محمد رشيد رضا عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ** ﴾ (١).

"وقد تركت ما ذكروه في تفسير الآية من حديث زيد بن ثابت في كون قوله (غير أولي الضرر) نزل لأجل ابن أم مكتوم، لأن هذا من المشكلات الجديرة بالرد مهما قووا سندها، ولعلنا نفصل القول فيها في مقدمة التفسير"(٢).

نقد ما ذكر: هذا قول مردود من السيد رشيد رضا لسببين:

أولهما: أنه رد الرواية مع صحتها فقد أخرجها الإمام البخاري في صحيحه(٣).

وثانيهما: عدم معارضة الرواية لصريح النقل وصحيح العقل.

* خلاصة موقف تفسير المنار من أسباب النزول:

---

(١) سورة النساء من الآية ٩٥.

(٢) تفسير المنار: ٥ / ٢٣٩.

(٣) صحيح البخاري: ٤ / ١٦٧٧ برقم ٤٣١٧.

الأصل ــ عندهم ــ هو الحفاظ على تماسك السياق القرآني، وربط أوله بآخره ورفض أي رواية يفهم منها تمزيق النص، وأنه ينبغي النظر إلى عموم النصوص القرآنية دون تقييدها بحوادث معينة ــ ولو كانت صحيحة ــ إذ يمكن أن تنزل آيات من القرآن تكون مشتملة بعمومها على تلك الحوادث، دون أن تكون تلك الحوادث أو بعضها هو سبب النزول، ويرون أن الرواة الذين ينقلون أسباب النزول يتبعون الرواية دون أن ينظروا إلى سياق الآية، أو الآيات التي قبلها وبعدها،وهم بذلك يزيدون النص غموضاً وتعقيداً وبعداً عن الفهم الصحيح.

وهذا المنهج منتقد وغير مقبول عند العلماء.

لأن الرواية إذا ثبتت صحتها فليس لأحد أن يطعن بها، أو يرفضها لمجرد أنه لم يفهمها، أو لم يستطع التوفيق بينها وبين روايات أخر.

ولا يخفى أن هذا المنهج فتح باباً أمام أتباع الأهواء والدغل والحقد على دين الإسلام، فتسللوا عبر هذا الممر إلى الطعن بسنة النبي ﷺ، وتوجيه سهام التكذيب والإبطال إلى دواوين السنة الشريفة، ليعلنوا طعنهم في كل راو، لا يروقهم[1] منهجه، حتى كسرت هيبة الصحيح في قلوب كثير من الباحثين، فتطاول بعضهم على عدد من الأحاديث الصحيحة يردها لأنه لم

(١) يروق: يقال: قد راقه كذا وكذا، يروقه إذا أعجبه، فالروق: الإعجاب بالشيء. "ينظر: إصلاح المنطق ــ ابن السكيت، ١ / ٨٤، والمحيط في اللغة: الصاحب بن عباد ٤٩٧/١.

يفهمها، أو لم يستطع إزالة إشكال علق في ذهنه حولها، حتى صار رد الأحاديث الصحيحة طريقاً سهلاً للوصول إلى تقرير أفكار ومقولات تخدم اتجاهات معينة [1].

❁❁❁

(١) موقف تفسير المنار من روايات أسباب النزول والإسرائيليات ــ بحث للدكتور / أحمد محمد مفلح، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، العدد ٢٨، ص ٣ " بتصرف".

(المبحث الثاني)

إنكار أصحاب المنار للنسخ

تمهيـــــد:

موضوع النسخ من الموضوعات التي شغلت العلماء قديماً وحديثاً ما بين مسرف فيه، ومقتصد، فهو من أهم الموضوعات التي يجب علـــى العـــالم الإحاطة به، وهو من أجل المباحث في علوم القـــرآن خاصـــة، والعلـــوم الأخرى كعلم الحديث وأصول الفقه، بل هو موضوع ذو صـــلة بالعقيـــدة أيضاً؛ لأن تناسخ الرسالات السماوية، وتناسخ الأحكام لا يمكن فهمها فهماً سليماً إلا مع إدراك كاملٍ بالعقيدة والشريعة، وإيمان صادق بالباري تعالى وقدرته وعلمه وحكمه، وبدون هذا الإيمان، وذلك الإدراك سيعرض للمرء ما عرض للفرق المنكرة للنسخ.

والموضوع من جهة أخرى له صلة بالتشريع، فإن التعرف على أحكـــام الشريعة والعمل بها يقتضي معرفة محكمها ومنسوخها.

عن أبي عبد الرحمن السلمي (ت٧٣هـــ) قال: " انتهى علي بن أبي طالب (ت٤٠هـــ) ﷺ إلى رجل يقص، فقال: أعلمت الناسخ من المنسوخ ؟ قال: لا قال: هلكت وأهلكت " [١].

---

(١) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٢٥/١، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ٤١٠/١، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ١ /٨٠، وابـــن الجـــوزي فـــي نواســـخ القـــرآن ص ١٢٦، وقال محققه: إسناده إلى عليّ جيد.

وعن الضحاك بن مزاحم (ت١٠٥هـ) قال: مرَّ ابن عباس بقاص يقص، فركله برجله وقال: أتدري ما الناسخ والمنسوخ ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت "[١].

وقال الشافعي (ت ٢٠٤هـ): " لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله، بناسخه ومنسوخه، وبمحكمه ومتشابهه، وتأويله، وتنزيله، ومكيه ومدنيه، وما أريد به، وفيما أنزل، ثم يكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله ﷺ، وبالناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث ما عرف من القرآن"[٢].

وأورد ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) في كتابه " جامع بيان العلم وفضله "، في باب معرفة أصول العلم وحقيقته، وما الذي يقع عليه اسم الفقه والعلم مطلقاً أثراً يبين أهمية هذا العلم حيث قال: " وذكر أبو بكر محمد بن الحسن النقاش ثنا عبد الله بن محمود، قال: سمعت يحيى بن أكثم يقول: ليس من العلوم كلها علم هو أوجب على العلماء، وعلى المتعلمين، وكافة المسلمين من علم ناسخ القرآن ومنسوخه، لأن الأخذ بناسخه واجب فرضاً، والعلم به لازم ديانة، والمنسوخ لا يعمل به، ولا ينتهى إليه، فالواجب على كل عالم عِلْمُ ذلك لئلا يوجب على نفسه أو على عباد الله أمراً لم يوجبه الله عز وجل، أو يضع عنه فرضاً أوجبه الله عز وجل " [٣].

---

(١) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٢٦/١، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ٤١٤/١، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ص ١٣٥، وقال محققه: إسناده ضعيف لانقطاعه.

(٢) ينظر: الفقيه والمتفقه ــ للخطيب البغدادي ــ ١ / ١٥٧.

(٣) جامع بيان العلم وفضله: ١ / ٧٦٧.

وإذا كان النسخ بهذه المكانة العظيمة، فهو جدير بمزيد من البحث والعناية، ومن هنا كانت دراسة موضوع النسخ وضروبه وشرائطه ضرورية من حيث التعرف على جانب من أسرار الخلاف، ومن حيث القدرة على تمييز المحكم من المنسوخ، وموقف تفسير المنار منه، من خلال هذه المطالب:

المطلب الأول: تعريف النسخ لغة:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ٧٠هـ): " **النسخ:** إزالتك أمراً كان يعمل به، ثم تنسخه بحادث غيره، كالآية تنزل في أمر، ثم يخفف فتنسخ بأخرى، فالأولى منسوخة، والثانية ناسخة" (١).

وقال ابن الإعرابي (ت ٢٣١هـ): " النسخ: تبديل الشيء من الشيء وهو غيره، والنسخ نقل الشيء من مكان إلى مكان وهُوَ هُوَ" (٢).

وقال الزجاج (ت ٣١١هـ): " فأما النسخ في اللغة، فإبطال شيء، وإقامة شيء آخر مقامه، العرب تقول: نسخت الشمس الظل، والمعنى أذهبت الظل، وحَلت محله" (٣).

ومن هنا يتضح أن النسخ في اللغة يطلق على معنيين، وكل معنى منهما تحته نوعان:

---

(١) العين، ص ٢٥٦ "مادة: نسخ ".

(٢) تهذيب اللغة: الأزهري: ٧ / ٨٤.

(٣) معاني القرآن وإعرابه:١ / ١٨٩.

المعنى الأول: الرفع، والإزالة، وتحته نوعان:

النوع الأول: إزالة الشيء من غير حلول شيء محله، ومنه قولهم: نسخت الريح الأثر.

النوع الثاني: إزالة الشيء مع حلول آخر محله، ومنه قولهم: نسخت الشمس الظل، والشيب الشباب.

المعنى الثاني: النقل، وتحته نوعان:

النوع الأول: النقل مع عدم بقاء الأول: كالمناسخات في المواريث، فإنها تنتقل من قوم إلى قوم مع بقاء المواريث في نفسها.

النوع الثاني: النقل مع بقاء الأول: فيكون المراد المماثلة، كنسخ الكتاب.

- **وقفة مع الطبري والنحاس:**

يرى الطبري (٣١٠هـ)، والنحاس (ت٣٣٨هـ)، أن النسخ في القرآن مشتق من معنى النقل.

قال الطبري: " وأصل النسخ من نسخ الكتاب، وهو نقله من نسخة إلى أخرى غيرها، فكذلك معنى نسخ الحكم إلى غيره "[١].

وقال النحاس: " والآخر ـ أي المعنى الثاني ـ من نسخت الكتاب إذا نقلته من نسخة، وعلى هذا الناسخ والمنسوخ "[٢].

---

(١) تفسير الطبري ٢ / ٣٨٨.

(٢) الناسخ والمنسوخ ١ / ٤٢٤.

وقد غلط هذا القول الذي انتحله الطبري والنحاس، مكي بن أبي طالب، والشوكاني (ت ١٢٥٠هـ).

قال مكي بن أبي طالب: " وقد غلط في هذا جماعة، وجعلوا النسخ الذي وقع في القرآن مأخوذ من هذا المعنى ـ أي النقل ـ وهو وَهْم، وقد انتحله النحاس، وهذا خطأ... " [١].

وقال الشوكاني: " فلا مدخل لهذا المعنى في هذه الآية "[٢].

* ويرى الجمهور أن النسخ مشتق من معنى الرفع والإزالة [٣].

قال أبو الخطاب الكلوذاني الحنبلي (ت٥١٠هـ): " النسخ في اللغة: عبارة عن الرفع والإزالة، تقول العرب: نسخت الشمس الظل، ونسخت الريح الأثر إذا أزالتها "[٤].

* ويرى كل من الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، والغزالي (ت٥٠٥هـ)، وابن المنير (ت٦٨٣هـ) أن المعنى اللغوي مشترك بين الإزالة والنقل [٥].

---

(١) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ٤١.

(٢) فتح القدير ١ / ٢٥٠.

(٣) ينظر: المعتمد: لأبي الحسين البصري ٣٦٤/١، تفسير ابن عطيه ١٩٠/١، المحصول: الرازي ٤٢٠/٣، شرح الكوكب المنير: الفتوحي المعروف بابن النجار ٥٢٥/٢، ورجحه د/مصطفى زيد في " النسخ في القرآن الكريم " ١ / ٦٢.

(٤) التمهيد في أصول الفقه: الكلوذاني ٣٣٥/٢.

(٥) ينظر: المختصر في أصول الفقه: ابن اللحام، ص ١٣٦، التحبير شرح التحرير: المرداوي ٦ / ٢٩٧٣.

قال الغزالي: " أما حدّه فاعلم أن النسخ عبارة عن الرفع والإزالة، في وضع اللسان، يقال: نسخت الشمس الظل، ونسخت الريح آثار المشي، إذا أزالتها، وقد يطلق لإرادة نسخ الكتاب، فهو مشترك "[1].

المطلب الثاني: تعريف النسخ اصطلاحاً:

يحتاج معنى النسخ في الاصطلاح إلى شيء من الإيضاح والبيان، وذلك لأن معناه في اصطلاح المتقدمين يختلف عن معناه في اصطلاح المتأخرين، ولذلك يقال: إن النسخ في الاصطلاح له معنيان:

الاصطلاح الأول: النسخ في اصطلاح السلف والمتقدمين:

المتقدمون من الصحابة والتابعين لهم اصطلاح خاص في مسألة النسخ، فمفهوم النسخ عندهم أعم من مفهومه عند الأصوليين والفقهاء والمحدثين، وما استقر عليه الأمر بعد ذلك في هذا المصطلح.

فلم يكن النسخ عندهم مميزاً عن غيره من أساليب البيان، فقد كانوا يطلقون النسخ على تخصيص العام، وتقييد المطلق، وتبيين المجمل، وإيضاح المبهم، وكذلك يطلقونه على النسخ بمعناه المعروف عند الأصوليين، بعد تحديد المصطلحات العلمية.

وقد قرَّر هذا كثير من المحققين كابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، وابن القيم (ت٧٥١هـ) والشاطبي (ت ٧٩٠هـ) قال ابن تيمية: "... وهو أن الله

(١) المستصفي: ١ / ٢٠٧.

جعل المحكم مقابل المتشابه تارة، ومقابل المنسوخ أخرى، والمنسوخ يدخل فيه في اصطلاح السلف ــ العام ــ كل ظاهر تــرك ظــاهره لمعــارض راجح، كتخصيص العام، وتقييد المطلق، فإن هذا متشابه، لأنــه يحتمــل معنيين، ويدخل فيه المجمل فإنه متشابه، وإحكامه رفع ما يتوهم فيه مــن المعنى الذي ليس بمراد، وكذلك ما رفع حكمه، فإن في ذلك جميعه نــسخاً لما يلقيه الشيطان في معاني القرآن " [1].

وقال ابن القيم: "ومراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ رفع الحكم بجملته تارة، وهو اصطلاح المتأخرين، ورفع دلالة العام، والمطلــق والظــاهر، وغيرها تارة، إما بتخصيص أو تقييد، أو حمل مطلق على مقيد، وتفسيره وتبيينه، حتى إنهم يسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخاً، لتضمن ذلــك رفع دلالة الظاهر، وبيان المراد، فالنسخ عندهم وفي لسانهم هو بيان المراد بغير ذلك اللفظ، بل بأمر خارج عنه، ومن تأمل كلامهم رأى من ذلك فيه ما لا يحصى، وزال عنه به إشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر"[2].

وقال الشاطبي: "الذي يظهر من كلام المتقدمين أن النــسخ عنــدهم فــي الإطلاق أعم منه في كلام الأصوليين، فقد يطلقون علــى تقييــد المطلــق نسخاً، وعلى تخصيص العموم بدليل متصل، أو منفصل نسخاً، وعلى بيان

(١) مجموع الفتاوى: ١٣ / ٢٧٢.

(٢) إعلام الموقعين: ١ / ٣٥.

المبهم، والمجمل نسخاً، كما يطلقون على رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر نسخاً، لأن جميع ذلك مشترك في معنى واحد، وهو أن النسخ في الاصطلاح المتأخر اقتضى أن الأمر المتقدم غير مراد في التكليف، وإنما المراد ما جيء به آخراً غير معمول به، والثاني هو المعمول به... " [١].

*** الإمام الشافعي ــ رحمه الله ــ أول من ميز بين النسخ والأساليب السابقة:**[٢]

قال محمد محمد أبو زهرة (ت ١٣٩٤هـ): ".. إن الشافعي في رسالته قد حرر معنى النسخ فيما ساق من أدلة وأمثلة، فميزه عن تقييد المطلق وتخصيص العام، وجعلهما من نوع البيان، وكثير من المتقدمين من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم كانوا يسمون تقييد المطلق نسخاً، وتخصيص العام نسخاً، حتى كان منهم من يجعل الاستثناء نسخاً، وهكذا، فلما جاء الشافعي حرّر معنى النسخ، وميزه من بين تلك الإطلاقات الواسعة، التي كان بإدماجها فيه غير متميز، وجعل التخصيص والتقييد من باب بيان المراد بالنص، وأما النسخ فهو رفع حكم النص بعد أن يكون ثابتاً".[٣]

وقال الدكتور: سليمان اللاحم: " ويعد الشافعي أول من ميز بين النسخ، وبين هذه الأساليب، فقد أطلق في كتابه الرسالة على النسخ معاني عدة

---

(١) الموافقات ٣ / ٧١.

(٢) ينظر: الرسالة، ص ١٠٩، ١١٠، ١٢٢.

(٣) الشافعي: حياته وعصره ــ آراؤه الفقهية ــ محمد أبو زهرة، ص ٢٦٥.

تميزه في الحقيقة عن غيره كلفظ التبديل، والإزالة، والمحو، وهذه المعاني لا توجد في التخصيص، والتقييد، ونحوهما من أساليب البيان، كما ذكر أيضاً أن من لازم النسخ وجوب ترك العمل بالمنسوخ، ووجوب الأخذ بالناسخ...

ثم قال: ومنذ عهده وأساليب البيان بجملتها تتميز عن النسخ لدى العلماء"(١)

الاصطلاح الثاني: النسخ في اصطلاح الأصوليين والمتأخرين:

حاول العلماء أن يضعوا تعريفاً للنسخ يتميز به عن غيره من الأساليب، ومن أقدم ما وصل إلينا ما ذكره أبو عبد الله محمد بن حزم (ت٣٢٠هـ) بقوله: "وأما حدّه فمنهم من قال: إنه بيان انتهاء مدة العبادة، وقيل: انقضاء العبادة التي ظاهرها الدوام، وقال بعضهم: رفع الحكم بعد ثبوته" (٢).

وعرفه القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ) بقوله: "هو الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً مع تراخيه عنه" (٣).

وعرفه ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ) بقوله: " النسخ بيان انتهاء زمان الأمر الأول فيما لا يتكرر" (٤).

---

(١) حاشية كتاب الناسخ والمنسوخ للزجاج ــ تحقيق د. سليمان اللاحم ١ / ١٠٥.

(٢) معرفة الناسخ والمنسوخ: محمد بن حزم (ليس هو ابن حزم الظاهري المعروف) ص٣١١.

(٣) الاعتبار في الناسخ والمنسوخ في الحديث: الحافظ الحازمي الهمذاني ١٢٢/١..

(٤) الإحكام في أصول الأحكام: ٤ / ٥٦٤

وعرفه ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) بقوله: " رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر"[١]. وهذا التعريف اختيار جمع من المتقدمين والمتأخرين[٢].

هذه مجموعة من تعاريف النسخ منذ أواخر القرن الثالث، وأوائل القرن الرابع،ولا يتسع المقام لاستعراض ما ورد على كل منها من مآخذ واعتراضات حيث لم يسلم واحد منها من ذلك، إذ نرى كل من يحاول أن يضع تعريفاً جديداً للنسخ، يكون في نظره جامعاً مانعاً سالماً من المآخذ والاعتراضات يحاول مع ذلك نقد ما سبقه من تعاريف [٣].

مناقشة التعريف الذي اختاره أكثر العلماء:

اعترض على أكثر التعريفات التي وضعها العلماء للنسخ بأنها غير جامعة وغير مانعة، واختار أكثر العلماء أن النسخ: " رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخ" [٤]، هذا التعريف ذهب إليه أكثر العلماء المتقدمين والمتأخرين.

---

(١) مختصر المنتهى مع شرحه للعضد: ابن الحاجب، ص ١٨٥.

(٢) من المتقدمين: الشاطبي في الموافقات ٣ / ١٠٧، شرح الكوكب المنير: الفتوحي ٥٢٦/٣، إرشاد الفحول: الشوكاني، ص ١٨٤، واختاره من المتأخرين: د. مصطفى زيد، د. بدران أبو العنين، د. نادية شريف العمري، ينظر: النسخ في القرآن الكريم ٢ / ١٠٥، أدلة التشريع المتعارضة ص ٣٩٩، النسخ في دراسات الأصوليين ص ٥٢.

(٣) ينظر في ذكر هذه المآخذ والاعتراضات: المنخول في علم الأصول: أبو حامد الغزالي ص ٢٨٩، ٢٩١، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي: عبد العزيز أحمد بن محمد البخاري ٣ / ١٠٥، المسودة في أصول الفقه: مجد الدين ابن تيمية، ص ١٧٦، شرح الورقات: جلال الدين المحلي، ومعه حاشية الدمياطي، ص ١٤، مذكرة أصول الفقه: الشنقيطي، ص ٦٦، ٦٧.

(٤) مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، ابن الحاجب، ٢: ١٨٥.

شرح التعريف ومحترزاته:

قوله (رفع): جنس في التعريف، خرج عنه ما ليس برفع كالتخصيص فإنه لا يرفع الحكم وإنما يقصره على بعض أفراده.

وقوله (الحكم الشرعي) قيد أول خرج به ابتداء إيجاب العبادات في الشرع فإنه يرفع حكم العقل ببراءة الذمة، وذلك كإيجاب الصلاة، فإنه رافع لبراءة ذمة الإنسان منها قبل ورود الشرع بها، ومع ذلك لا يقال نسخ وإن رفع هذه البراءة لأن هذه البراءة حكم عقلي لا شرعي، بمعنى أنه حكم يدل عليه العقل حتى قبل مجيء الشرع، ولا يقدح في كونه حكماً عقلياً أن الشرع جاء يؤيده بمثل قوله تعالى ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾(١).

ومعنى رفع الحكم الشرعي: قطع تعلقه بأفعال المكلفين لا رفعه هو، فإنه أمر واقع، والواقع لا يرتفع.

وقوله (بدليل شرعي): قيد ثان خرج به رفع حكم شرعي بدليل عقلي، وذلك كسقوط التكليف عن الإنسان بموته، أو جنونه، أو غفلته، فإن سقوط التكليف عنه بأحد هذه الأسباب يدل عليه العقل إذ الميت والمجنون لا يعقلان خطاب الله حتى يستمر تكليفهم، والعقل يقضي بعدم تكليف المرء إلا بما يتعقله وأن الله تعالى إذا أخذ ما وهب أسقط ما وجب، ولا يقدح كون هذا الدليل عقلياً مجيء الشرع معززاً له بمثل قوله ﷺ (رفع القلم عن

(١) سورة الإسراء من الآية ١٥.

ثلاث، عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل) [١].

وقوله (متأخر): قيد لا يسمح بدخول ما ليس بنسخ، فقد صرح بشرط تأخر الناسخ عن المنسوخ في النزول [٢].

مناقشة التعريف: إن قوله " متأخر " يعد زيادة لا حاجة إليها، لأن هذه الكلمة إنما جيء بها احترازاً عن البيان المتصل بالحكم، كالاستثناء والقيد بالشرط، والغاية والصفة، لأنه يكون بياناً لا نسخاً[٣]. لكنها في الحقيقة تصريح بما فهم، لأن التعبير بقوله (رفع الحكم) يفيد أن شرط النسخ تأخر نزول الناسخ عن المنسوخ، لأنه يفيد أن الحكم الأول قد استقر وثبت بحيث يدوم لولا ورود النسخ وعلى هذا فإن تعريف أبي يحيى زكريا الأنصاري الشافعي للنسخ بأنه "رفع حكم شرعي بدليل شرعي ". دون كلمة متأخر، والذي اختاره الزرقاني (ت١٣٦٧هـ) يعد أسلم.

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه ٢ / ٢٢٥ برقم ٢٢٩٦، وقال حسين سليم أسد: إسناده صحيح، وأخرجه أيضاً بلفظ " وعن المعتوه حتى يعقل "، سنن الدارمي ٧ / ١٤٧، برقم ٢٣٥١.

(٢) ينظر: مناهل العرفان: الزرقاني، ٢ / ٧٠ (بتصرف).

(٣) ينظر: المستصفى ١ / ١٠٧، كشف الأسرار: ٣ / ١٥٥، الإبهاج في شرح المنهاج: السبكي، ٢ / ٢٤٧.

المطلب الثالث: بيان حكم النسخ وشروطه وطرق معرفته، وما لا يقع فيه:

بيان حكم النسخ:

مذهب أهل السنة في إثبات الحكمة من النسخ مبني على إثبات الحكمة في أفعال الله – سبحانه وتعالى– وأحكامه، خلافاً لمن نفى الحكمة عن أفعاله – سبحانه – أو قال بعدم تعليل أفعال الله[1].

والنسخ وقع بالشريعة الإسلامية، ووقع فيها، فإن الله قد نسخ بالإسلام كل دين سبقه، ونسخ بعض أحكام هذا الدين ببعض[2].

ومجمل هذه الحكم ما يلي:

أولاً: إن أوامر الله ونواهيه مشتملة على حكم ومصالح، فإذا انتهت الحكمة والمصلحة من الخطاب الأول وصارت في غيره، أمر ـ سبحانه ـ بترك الأول الذي زالت حكمته، والأخذ بالخطاب الجديد المشتمل على الحكمة الآن.

فالمنسوخ ـ وقت العمل به ـ كانت فيه المصلحة والحكمة، والناسخ هو المشتمل على الحكمة والمصلحة بعد النسخ.

---

(١) ينظر مجموع الفتاوي ١٤ / ١٤٤ ـ ١٤٧.

(٢) مناهل العرفان: ٢ / ٢١٠.

قال مكي بن أبي طالب: "وذلك منه ــ تعالى ــ لما فيه من الصلاح لعباده، فهو يأمرهم بأمر في وقت لما فيه من صلاحهم في ذلك الوقت، وقد علم أنه يزيلهم عن ذلك في وقت آخر لما علم من صلاحهم في ذلك الوقت الثاني"(١).

ثانياً: الارتقاء والتدرج في التشريع حتى يبلغ الكمال.

ثالثاً: الرحمة بخلقه والتخفيف عنهم والتوسعة عليهم، كما قال تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ**﴾ (٢)، وهذه الحكمة تتضح في نسخ الأثقل بالأخف.

رابعاً: تكثير الأجر للمؤمنين وتعظيمه لهم، وهذه الحكمة تتضح في نسخ الأخف بالأثقل.

خامساً: اختبار المكلفين باستعدادهم لقبول التحوّل من حكم إلى آخر ورضاهم بذلك، وتمييز قوي الإيمان من ضعيفه كما قال – سبحانه – ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ**﴾(٣).

---

(١) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص ٥٩.

(٢) سورة النساء من الآية ٢٨.

(٣) سورة البقرة من الآية ١٤٣.

سادساً: الامتحان بكمال الانقياد، والابتلاء بالمبادرة إلى الامتثال، وذلك فيما إذا أمر الله عبده بأمر فامتثله ثم أمره بنقيض ذلك الأمر فامتثله أيضاً، فيكون هذا دليلاً على كمال الانقياد والاستسلام، وتتضح هذه الحكمة في نسخ الأمر قبل التمكن من فعله.(١)

وهذه الحكم وغيرها مما لا نعلمه جاءت في آية النحل عند قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾.(٢)

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي (ت١٣٧٦هـ) عند قوله: (ليثبت الذين آمنوا) " فلا يزال الحق يصل إلى قلوبهم شيئاً فشيئاً، حتى يكون إيمانهم أثبت من الجبال الرواسي، وأيضاً فإنهم يعلمون أنه الحق، وإذا شرع حكماً من الأحكام ثم نسخه، علموا أنه أبدله بما هو مثله أو خبر منه لهم، وأن نسخه هو المناسب للحكمة الربانية والمناسبة العقلية" (٣).

---

(١) ينظر: الرسالة ص ١٠٦، الفقيه والمتفقه: للخطيب البغدادي ١ / ٨٣، الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: مكي بن أبي طالب، ص ٥٥، الموافقات: الشاطبي٣ / ٣٣٦، أضواء البيان ٣ / ٢٧٢، رحلة الحج إلى بيت الله الحرام: للشنقيطي، ص ٦١، مناهل العرفان ٢/٢١٠، شرح الأصول من علم الأصول: للشيخ محمد بن عثيمين، ص ٤٢٩.

(٢) سورة النحل الآيتان ١٠١، ١٠٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن: ٢ / ٩٠٢.

سابعاً: دفع التعارض، خصوصاً إذا ما وجدت أدلة متعارضة لا يندفع التناقض بينها إلا بمعرفة ناسخها من منسوخها [١].

ولهذه الحكم وغيرها فإن الإحاطة بالناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم والسنة النبوية من الأهمية بمكان.

قال الإمام القرطبي ــ رحمه الله ــ: "معرفة هذا الباب ــ أي الناسخ والمنسوخ أكيدة وفائدته عظيمة لا يستغني عن معرفته العلماء، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء، لما يترتب عليه من النوازل في الأحكام ومعرفة الحلال من الحرام"[٢].

شروط النسخ:

يتحقق النسخ بشروط عديدة منها:

١ ــ أن يكون الحكمان ــ الناسخ والمنسوخ ــ دليلاً شرعياً.

٢ ــ تراخي الدليل الشرعي الناسخ عن الدليل المنسوخ في النزول.

٣ ــ ألا يكون الخطاب المرفوع ــ المنسوخ ــ حكمه مقيداً بوقت معين، وإلا فالحكم ينتهي بانتهاء وقته ولا يعد هذا نسخاً.

٤ ــ أن يكون بين ذينك الدليلين تعارض حقيقي في نفس الموضوع.

---

(١) ينظر: مناهل العرفان ٢ / ٧٠ (بتصرف).

(٢) تفسير القرطبي، ٢: ٦٢.

فهذه أربعة شروط لابد منها لتحقق النسخ باتفاق جمهرة الباحثين، وثمة شرط اختلفوا في شرطيته وهو: أن يكون ناسخ القرآن قرآناً، وناسخ السنة سنة ومنها كون النسخ مشتملاً على بدل للحكم المنسوخ، وكون الناسخ مقابلاً للمنسوخ مقابلة الأمر للنهي، والمضيق للموسع، ومنها كون الناسخ والمنسوخ نصين قاطعين [1].

طرق معرفة النسخ:

١ ــ النقل الصحيح عن النبي ﷺ، أو عن الصحابي رضي الله عنه.

٢ ــ إجماع الأمة على أن هذا ناسخ وهذا منسوخ.

٣ ــ معرفة المتقدم من المتأخر في التاريخ.

ولا يعتمد في النسخ على الاجتهاد، أو قول المفسرين، أو التعارض بين الأدلة ظاهراً، أو تأخر إسلام أحد الراويين [2].

مما سبق يتضح أن ثمة ضوابط وضعها العلماء لمعرفة الناسخ من المنسوخ وأنه لا يجوز لأحد أن يحيد عن هذه الضوابط بحجة مخالفة هذه القواعد لمنهجه أو اجتهاده، أو تفكيره، كذلك لا يجوز لأحد أن يدعي عدم وقوع النسخ في كتاب الله تحت مبررات لا يقوم بها الدليل، وقد أجمعت الأمة الإسلامية منذ عصر الصحابة على أن النسخ جائز وواقع.

---

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن: القطان، ص ٢٣٢، مناهل العرفان: ٢/ ٧٦، النسخ في القرآن الكريم: د. مصطفى زيد: ١ / ٢٠١.

(٢) ينظر: الإتقان ٢ / ٥٢، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٣٤.

يقول د. مصطفى زيد: " على أن ثمة إجماع أعم وأقوى، وهو إجماع الآمة الإسلامية منذ عصر الصحابة على أن النسخ جائز وواقع، وعلى أن من بين أحكام الفقه الإسلامي في مذاهبه ــ جميعاً ــ أحكاماً حلت محل أحكام ثم نسخت، وهذا الإجماع يلحظه بسهولة كل من يدرس الفقه المقارن، وكل من يتصدى لدراسة الأحكام الشرعية دراسة تربطها بمصادرها الأولى، وتبين تدرجها، وحلول أحكام منها محل أحكام كانت قد شرعت ثم رفعت كذلك، يلحظ هذا الإجماع بيسر كل من يعني بدراسة علوم القرآن، وبالنظر في تلك الكتب التي ألفت فيها على كثرتها واختلاف أزمانها، فإنها لم يخل كتاب منها ــ فيما رأينا ــ من دراسة للنسخ مجملة أو مفصلة حسب منهج مصنفه"(١).

ما لا يقع فيه النسخ: **وهو أمران:**

١ ــ الأخبار: مثل:

أ ــ أصل التوحيد، لأن أصل التوحيد وما أعلمنا الله به من أسمائه وصفاته أخبار، فلا يجوز في ذلك كله أن ينسخ. وكذلك مما لا يجوز نسخه من الأخبار:

ب ــ ما قصه الله من أخبار الأمم الماضية.

ج ــ ما أخبر الله بوقوعه مستقبلاً.

(١) النسخ في القرآن الكريم. ١ / ٢٦٦.

د ــ ما وعد الله به.

هـ ــ ما أخبر بوقوعه في الماضي.

و ــ ما ذكر من العقائد كالجنة والنار، والبعث والنشور وغيرها.

قال مكي بن أبي طالب: " فأما ما لا يجوز نسخه فهو " كل ما أخبرنا الله تعالى عنه أنه سيكون أو أنه كان أو وعدنا به، أو قص علينا من أخبار الأمم الماضية وما قص علينا من أخبار الجنة والنار والحساب والعقاب، والبعث والحشر، وخلق السماوات والأراضين، وتخليد الكفار في النار، والمؤمنين في الجنة، هذا كله وشبهه من الأخبار لا يجوز نسخه، لأنه يتعالى أن يخبر عن الشيء على غير ما هو به، وكذلك ما أعلمنا به من صفاته، لا يجوز في ذلك كله أن ينسخ ببدل منه "[1].

ويستثنى من الأخبار التي لا يدخلها النسخ:

أ ــ الخبر إذا تضمن حكماً شرعياً: فإنه يجوز نسخه، كقوله تعالى: ﴿ **إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ** ﴾[2] الآية، فإن هذا خبر معناه الأمر ولذا جاء نسخه في الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿**الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ**﴾[3].

---

(١) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: ص ٦٦.

(٢) سورة الأنفال من الآية ٦٥.

(٣) سورة الأنفال من الآية ٦٦. وينظر: شرح الكوكب المنير: لابن النجار، ٥٣٨/٤، الأصول في علم الأصول: للشيخ محمد بن عثيمين، ص ٤٦.

ب ــ إذا نسخ لفظ الخبر دون مدلوله: كأن تنزل الآية مخبرة عن شيء ثم تنسخ تلاوتها فقط [١].

ويمثل لهذا بحديث عائشة رضي الله عنها: " كان فيما أنزل عشر رضعات معلمات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات.. " [٢] الحديث.

وما سوى هذه الأخبار وهي الأخبار المحضة فلا يدخلها نسخ.

ومما لا يقع فيه النسخ: ما علم بالنص أنه يتأبد: وفي جواز نسخه قولان:

الأول: المنع. **والثاني:** الجواز [٣]

والراجح: ــ والله أعلم ــ أن النص المؤبد الذي بصيغة الإخبار لا يجوز نسخه كقوله تعالى ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** ﴾ [٤]، [٥]. وكقول النبي ﷺ " كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة"[٦].

---

(١) مناهل العرفان: ٢ / ٢٢٩.

(٢) صحيح مسلم: ٩ / ٣٢٥، برقم ٣٦٧٠.

(٣) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان ٤ / ٧٩، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علوم الأصول: الشوكاني ص ٦١٤.

(٤) سورة النساء من الآية ٥٧.

(٥) النسخ في دراسات الأصوليين: د. نادية العمري، ص ٢٢٠.

(٦) صحيح مسلم ٩ / ١١٥، برقم ٣٤٨٨.

المطلب الرابع: إنكار أصحاب المنار للنسخ:

سأدلل على موقف تفسير المنار من النسخ بأمرين:

الأول: محاولة الاعتذار لأبي مسلم الأصفهاني.

الثاني: استقراء بعض الأمثلة.

أولاً: محاولة الاعتذار لأبي مسلم الأصفهاني[١]:

اشتهر عن أبي مسلم القول بإنكار النسخ، وأشار إلى مذهبه النحاس [٢] (ت٣٣٨هـ)، والجصاص (ت ٣٧٠هـ) في أحكام القرآن [٣]، والقاضي أبو يعلي[٤] (ت ٤٥٨هـ).

قال أبو جعفر النحاس: "...فمن المتأخرين من قال: ليس في كتاب الله ــ عز وجل ــ ناسخ ومنسوخ، وكابر العيان واتبع غير سبيل المؤمنين"[٥].

---

(١) أبو مسلم محمد ابن بحر الأصفهاني: من مفسري القرن الرابع الهجري، كان أديباً، متكلماً، مفسراً، من رجال الدولة العباسية، صنفه ابن مرتضى من طبقات المعتزلة، نسب إليه مؤلفات لكنها غير متوفرة، ومن أهمها: جامع التأويل لمحكم التنزيل، وهو تفسير للقرآن على أساس عقائد المذهب المعتزلي، وهو من أبرز آثاره، توفي سنة ٣٢٢ هجرية. (ينظر: الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ١٨ / ١٧٠، طبقات المعتزلة لابن مرتضى ٩١/١، بغية الوعاة للسيوطي ٥٩/١ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم).

(٢) الناسخ والمنسوخ: ١ / ٤٠٠.

(٣) أحكام القرآن: ١ / ٧٢.

(٤) العدة في أصول الفقه ٣ / ٧٧٠.

(٥) الناسخ والمنسوخ: ١ / ٤٠٠.

واختلف النقل عن أبي مسلم في ذلك فقيل:

١ ــ إنه أنكر جوازه عقلاً ووقوعه شرعاً.

٢ ــ إنه أنكر الوقوع ولم ينكر الجواز[١].

قال ابن الجوزي بعد ذكر هذا المذهب: " وهؤلاء لا يعدون، لأنهم خالفوا نص الكتاب، وإجماع الأمة "[٢].

وذكر الشوكاني: أنه لا يعتد بخلاف أبي مسلم، بل ووصفه بالجهل بالشريعة المحمدية[٣].

ولو لم يكن من مذهبه هذا إلا أنه خالف الكتاب وإجماع الأمة وتعسف في تأويل الآيات الدالة على وقوع النسخ في القرآن، كقوله تعالى: ﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا** ﴾[٤]، وقوله: ﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ**[٥]﴾ .

كما تعسف في تأويل الآيات الناسخة والمنسوخة، بما لا يقبله العقل، ولا يتفق مع النقل واللسان العربي.

---

(١) إرشاد الفحول: ص ٦١١.

(٢) ناسخ القرآن ومنسوخه: ص ١٩.

(٣) إرشاد الفحول: ص ٦٠٨.

(٤) سورة البقرة من الآية ١٠٦.

(٥) سورة النحل من الآية ١٠١.

فعند آية البقرة "**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا** "حكى الفخر الرازي في التفسير الكبير عن أبي مسلم قوله: " إن المراد بالآيات المنسوخة هي الشرائع التي في الكتب القديمة في التوراة والإنجيل كالسبت والصلاة إلى المشرق والمغرب"(١) وهذا تفسير لم يعهد عن أحد من المفسرين قبله ولا بعده.

* وقد حاول الإمام محمد عبده الاعتذار عنه بحجة أنه لا ينكر وقوع النسخ في القرآن، وإنما يسميه تخصيصاً، لأنه قصر الحكم على بعض الأزمان، وعلى هذا يكون أبو مسلم مقر بوقوع النسخ، وإنما الخلاف في اللفظ.

قال الإمام محمد عبده: "... ولكن هناك خلافاً في نسخ أحكام القرآن ولو بالقرآن، فقد قال أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني المفسر الشهير: ليس في القرآن آية منسوخة، وهو يُخرج كلَّ ما قالوا إنه منسوخ على وجه صحيح بضرب من التخصيص أو التأويل"(٢).

وهذا تعليل لا يقبل:

فإن القرآن قد أثبت وقوع النسخ، وأجمعت الأمة على تسميته نسخاً، فكيف يسوغ له مخالفة ذلك، وما الذي يحدو به إلى التعسف في تفسير الآيات الدالة على وقوع النسخ في القرآن، والآيات الناسخة والمنسوخة، والخروج

(١) التفسير الكبير: ٣ / ٢٢٧.
(٢) تفسير المنار: ٢ / ١١٢.

بها عن أقوال عامة المفسرين من الصحابة والتابعين وأهل اللغة، لأنه لو كان مذهبه فقد أن يسمي النسخ تخصيصاً في الأزمان لما احتاج إلى هذا التعسف المذموم "[1].

ثانياً: استقراء بعض الأمثلة وموقف المفسرين من هذا التفسير:

١ ــ عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [2]، يذكر الشيخ محمد رشيد رضا أقوال العلماء في النسخ بأنهم على قولين:

أحدهما: أن هذه الآية على حد قوله تعالى ﴿ **وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ**﴾ .[3] فيذكر بأن النسخ هنا بمعنى التبديل، وهو في نسخ التلاوة.

ثانيهما: أن المراد بنسخ حكم الآية وهو عام يشمل نسخ الحكم وحده، ونسخه مع التلاوة، وهذا هو القول المختار للجمهور[4].

ثم ينقل الشيخ محمد رشيد رضا عن الإمام محمد عبده قوله: " هذا تقرير ما جرى عليه المفسرين في الآيات، وإذا وازنا بين سياق آية **(مَا نَنسَخْ)**، وآية ﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ**﴾ نجد أن الأولى ختمت بقوله: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ**

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس، تحقيق د. سليمان اللاحم ١ / ٤٠٢ ــ ٤٠٣.
(٢) سورة البقرة الآية ١٠٦.
(٣) سورة النحل من الآية ١٠١.
(٤) تفسير المنار: ١ / ٤١٤ (بتصرف).

اللَّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ﴾، والثانية بقوله: ﴿ **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ** ﴾ ونحن نعلم شدة العناية في أسلوب القرآن بمراعاة هذه المناسبات.

فذكر العلم والتنزيل ودعوى الافتراء في الآية الثانية يقتضي أن يراد بالآيات فيها آيات الأحكام، وأما ذكر القدرة والتقرير بها في الآية الأولى فلا يناسب موضوع الأحكام ونسخها... إلى أن قال: وقد تحير العلماء في فهم الإنساء على الوجه الذي ذكروه حتى قال بعضهم إن معنى " **نُنسِهَا** " نتركها على ما هي عليه من غير نسخ، وأنت ترى أن هذا وإن صح لغة لا يلتئم مع تفسيرهم إذ لا معنى للإتيان بخير منها مع تركها على حالها غير منسوخة.

قال: والمعنى الصحيح الذي يلتئم مع السياق إلى آخره أن الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الأنبياء من الدلائل على نبوتهم، أي " **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ** " نقيمها دليلاً على نبوة نبي من الأنباء، أي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها، أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فإننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك نأت بخير منها في قوة الإقناع وإثبات النبوة أو مثلها في ذلك، ومن كان هذا شأنه في قدرته سعة ملكه، فلا يتقيد بآية مخصوصة، يمنحها جميع أنبيائه"[1].

(١) تفسير المنار: ١ / ٤١٦، ٤١٧ (بتصرف).

ويقول: " ولو كان الموضوع موضوع استبدال أحكام بأحكام تنسخها لما كان للتوعد بالكفر وجه وجيه " ثم يقول: " هذا هو التفسير الذي تتصل به الآيات ويلتئم بعضها على وجه يتدفق بالبلاغة، وهو الذي يتقبله العقل، ويستحيله الذوق، إذ لا يحتاج إلى شيء من التكلف في فهم نظمه، ولا في توخيه مفرداته كالإنسان والقدرة والملك" (١).

موقف المفسرين من هذا التفسير:

أورد الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ) في صحيحه بسند متصل عن ابن عباس قال: قال عمر: أقرؤنا أبيّ وأقضانا عليّ، وإنا لندع من قول أُبيّ، وذلك أن أُبَياً يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله وقد قال تعالى: " **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا** " (٢).

ومعنى " وإنا لندع من قول أُبيّ ": أي أن أُبَياً يقول لا أدع شيئاً، أي لا أترك شيئاً سمعته من رسول الله، وكان لا يقول أبيّ بنسخ شيء من القرآن فرد عمر ﷺ ذلك بقوله: وقد قال الله تعالى: " **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ** " فإنه يدل على ثبوت النسخ (٣).

وقال الإمام الزمخشري (ت٥٣٨هـ): " **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا** " ونسخ الآية: إزالتها بإبدال أخرى مكانها، وإنساخها: الأمر بنسخها، وهو

(١) تفسير المنار: ١ / ٤١٨.

(٢) صحيح البخاري: ١٤ / ٤٤٠ برقم ٤٤٨١.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني ٢٦ / ٤٠٧.

أن يأمر جبريل عليه السلام بأن يجعلها منسوخة بالإعلام بنسخها، ونسؤها: تأخيرها وإذهابها، لا إلى بدل، وإنساؤها: أن يذهب بحفظها عن القلوب، والمعنى: أن كل آية يذهب بها على ما توجبه المصلحة من إزالة لفظها وحكمها معاً، أو من إزالة أحدهما إلى بدل أو غير بدل " نأت " بآية خير منها للعباد، أي بآية العمل بها أكثر للثواب أو مثلها في ذلك، " **عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير**" فهو يقدر على الخير، وما هو خير منه، وعلى مثله في الخير"(١).

وقال الإمام القرطبي (ت٦٧١هـ) تعليقاً على الآية السابقة " **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَو نُنسِهَا** " وهذه آية عظمى في الأحكام، وسببها: أن اليهود لمها حسدوا المسلمين في التوجه إلى الكعبة وطعنوا في الإسلام بذلك وقالوا: إن محمداً يأمر أصحابه بشيء ثم ينهاهم عنه، فماه كان هذا القرآن إلا من جهته لهذا يناقض بعضه بعضاً فأنزل الله " **وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ** " السابقة الذكر، وأنزل " **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ** "(٢).

وقال أبو السعود (ت٩٨٢هـ): " **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا** " كلام مستأنف مسوق لبيان سر النسخ الذي هو فرد من أفراد تنزيل الوحي، وإبطال مقالة الطاعنين فيه إثر تحقيق حقيقة الوحي، ورد كلام الكارهين له رأساً "(٣).

---

(١) الكشاف: ١ / ١١٨.

(٢) تفسير القرطبي ٢ / ٦١.

(٣) تفسير أبي السعود: ١ / ١٧٩.

مما سبق يتضح: أن الآية عند السلف لا تعني إلا النسخ، سواء للأحكام الشرعية أم للتلاوة، إلا أن الإمام محمد عبده يلوي عنق الآية ويفسر معناها بأنها نسخ معجزات الرسل السابقين غير ملتفت لما قاله العلماء والمفسرون.

٢ ــ مثال آخر على موقف المنار من قضية النسخ:

قوله تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**﴾(١).

قال الأستاذ الإمام: ".. فالجمهور على أن الآية منسوخة بآية المواريث أو بحديث (لا وصية لوارث) أو بهما جميعاً على أن الحديث مبين للآية، قال البيضاوي وكان هذا الحكم في بدء الإسلام فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه السلام: " إن الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث "، وفيه نظر، لأن آية المواريث لا تعارضه، بل تؤكده من حيث إنها تدل على تقديم الوصية مطلقاً، والحديث من الآحاد، وتلقي الأمة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر(٢). أ.هـ أي: والظني من الحديث لا ينسخ القطعي منه، فكيف ينسخ القرآن وكله قطعي؟

قال الأستاذ محمد رشيد رضا: " وقد زاد الأستاذ الإمام عليه القول بأنه لا دليل علي أن آية المواريث نزلت بعد آية الوصية هنا، وبأن السياق ينافي

(١) سورة البقرة الآية ١٨٠.

(٢) تفسير البيضاوي: ١ / ٢١٥.

النسخ، فإن الله تعالى إذا شرع للناس حكماً وعلم أنه مؤقت وأنه سينسخه بعد زمن قريب فإنه لا يؤكده، ويوثقه بمثل ما أكد به أمر الوصية هنا من كونه حقاً على المتقين، ومن وعيد من بدله، وبإمكان الجمع بين الآيتين إذا قلنا إن الوصية في آية المواريث مخصوصة بغير الوارث.. " [١].

موقف المفسرين من هذا التفسير:

أن آية الوصية منسوخة بآية المواريث: وهو مروي عن ابن عباس، ابن عمر ــ رضي الله عنهم ــ،وقال مجاهد وعكرمة والحسن البصري[٢]، ومالك[٣] والشافعي[٤]. ورجحه ابن العربي، وابن عطية، والقرطبي، وابن تيمية، وابن كثير، والسيوطي، والزرقاني وغيرهم [٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): " فلا يعرف في شيء من آيات القرآن أنه نسخه إلا قرآن، والوصية للوالدين والأقربين منسوخة بآية المواريث كما اتفق عليه السلف "[٦].

---

(١) تفسير المنار: ٢ / ١٠٩.

(٢) تنظر المرويات عنهم في جامع البيان ٢١ / ١١٧ ــ ١١٩،التمهيد: ابن عبد البر ٢٩٢/١٤

(٣) الموطأ: ٢ / ٧٦٥.

(٤) الرسالة: ص ١٤١.

(٥) ينظر: أحكام القرآن ــ ابن العربي ١٠٢/١، تفسير ابن عطيه: ٣١٧/١، تفسير القرطبي: ١٧٢/١، مجموع الفتاوى: ١٧ /١٩٨، تفسير ابن كثير: ١،٤٩٦، الإتقان: ٤٨/٢، مناهل العرفان / ٢ / ٢٧٦.

(٦) مجموع الفتاوى: ١٧ / ١٩٨.

قال ابن كثير (ت٧٧٤): فيتعين أن تكون الآية منسوخة بآية المواريث، كما قاله أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء، فإن وجوب الوصية للوالدين والأقربين الوارثين منسوخ بالإجماع، بل منهي عنه للحديث المتقدم (إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث)[١]، فآية الميراث حكم مستقل، ووجوب من عند الله لأهل الفروض وللعصبات، رفع بها حكم هذه بالكلية"[٢]

وقال العلامة الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ): " التحقيق أن النسخ واقع فيها يقيناً في البعض لأن الوصية للوالدين الوارثين والأقارب الوارثين رفع حكمها بعد تقرره إجماعاً، وذلك نسخ في البعض لا تخصيص قصر العام على بعض أفراده لدليل، أما رفع حكم معين بعد تقرره فهو نسخ لا تخصيص كما هو ظاهر، وقد تقرر في علم الأصول أن التخصيص بعد العمل بالعام نسخ..."[٣]

وللفائدة، فإن الشنقيطي يرى أن آية المواريث ناسخة لآية الوصية، وأن الحديث " لا وصية لوارث " بيان لرفع النسخ [٤].

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢ / ٩٠٦ برقم ٢٧١٤، وصححه الألباني.
(٢) تفسير ابن كثير: ١ / ٤٩٤.
(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ١ / ١١.
(٤) مذكرة في أصول الفقه: للشنقيطي، ص ٧٥.

وقال الشيخ عبد العظيم الزرقاني (ت١٣٩٧هـ): " ورأيي أن الحق مع الجمهور في أن الآية منسوخة، وأن ناسخها آيات المواريث، أما القول بإحكامها فتكلف ومشي في غير سبيل " [١].

٣ ــ مثال ثالث على موقف المنار من قضية النسخ:

قوله تعالى: ﴿ **وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا** ﴾. [٢]

يقول الإمام محمد عبده مفسراً معنى "عقدت أيمانكم"، " فالمراد هنا بالذين عقدت أيمانكم: الأزواج، فإن كل واحد من الزوجين يصير زوجاً له حق الإرث بالعقد، والمتعارف عند الناس في العقد أن يكون بالمصافحة باليدين"[٣].

وهو بذلك يخالف جمهرة المفسرين الذين أدرجوا تحتها التحالف بين المهاجرين والأنصار في بداية الإسلام.

ويدافع السيد محمد رشيد رضا عن أستاذه قائلاً: " أقول إن ما ذهب إليه الأستاذ الإمام هو المتبادر الذي لا يعثر فيه الفكر، ولا يكبو في ميدانه جواد الذهن، ولا يحتاج فيه إلى تكلف في الإعراب، ولا إلى القول بالنسخ، فأين منه تلك الأقوال المتكلفة التي انتزعها المفسرون انتزاعاً.. ويقول:

---

(١) مناهل العرفان: ٢ / ١٨٤.

(٢) سورة النساء الآية ٣٣.

(٣) تفسير المنار: ٥ / ٦٤.

اختار جمهور المفسرين البعد في التقدير فقدروا المضاف إليه لفظ تركة أو مال، أو ميت، أو قوم.

وفسر بعضهم [١]: " **وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ** " بموالي الموالاة ورووا أن الحليف كان يرث السدس من مال حليفه في الجاهلية، وأقره الإسلام أولاً ثم نسخ بقوله تعالى: " **وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ** " [٢].

ويعلق الشيخ محمد رشيد رضا على كلام الأستاذ الإمام فيقول: " هذا وإن الأستاذ الإمام قد سبق إلى القول بأن المراد بـ " **عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ** " عقدة النكاح فهو مختار لا مبتكر " [٣].

موقف المفسرين من هذا التفسير:

في صحيح البخاري عن ابن عباس: "ولكل جعلنا موالي " قال: "ورثة، **(وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ)** كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي بينهم، فلما نزلت " **وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ** ".. نسخت " [٤].

(١) يقصد جمهور المفسرين الذين خالفوا رأيه.
(٢) سورة الأحزاب من الآية ٦.
(٣) تفسير المنار: ٥ / ٦٥ ــ ٦٦.
(٤) صحيح البخاري ٣ / ٧٩، برقم ٢٢٩٢.

قال القرطبي: اعلم أن الميراث كان يستحق في أول الإسلام بأسباب: منها الحلف والهجرة والمعاقدة، ثم نسخ بقوله تعالى: " **وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ** " [1].

ويقول مؤكداً النسخ في الآية: والصواب أن الآية الناسخة " ولكل جعلنا موالي"، والمنسوخة " **وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ** " وكذا رواه الطبري وغيره، وهو الذي أثبته أبو عبيد (ت٢٢٣هـ) في كتاب الناسخ والمنسوخ له "[2].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " قوله تعالى " **وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ** " أي: والذين تحالفتم بالأيمان المؤكدة أنتم وهم فآتوهم نصيبهم من الميراث كما وعدتموهم في الإيمان المغلظة إن الله شاهد بينكم في تلك العهود والمعاقدات وقد كان هذا في ابتداء الإسلام ثم نسخ بعد ذلك"، ورجح ذلك بقوله: " والصحيح الأول وأن هذا كان في ابتداء الإسلام يتوارثون بالحلف ثم نسخ ".

ثم يقول: " وهكذا نص غير واحد من السلف أنها منسوخة بقوله:" **وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ** " الآية، ثم ينقل كلام الإمام الطبري بأن الآية محكمة غير منسوخة، وأن الآية دلت على الوفاء المعقود على النصرة والنصيحة فقط، ثم يرد عليه قائلاً: " وهذا الذي قاله فيه نظر فإن من الحلف ما كان على المناصرة والمعاونة، ومنه ما كان على الإرث كما حكاه غير واحد من السلف، وكما قال ابن عباس: " كان المهاجريّ يرث

(١) تفسير القرطبي ٥ / ٦٠.
(٢) المرجع السابق: ٥ /١٦٥.

الأنصاري دون قرابته وذوي رحمه حتى نسخ ذلك " فكيف يقول إن هـذه الآية محكمة غير منسوخة والله أعلم. "[1].

وذكر السيوطي كذلك: أن الآية فيها نسخ وأن النسخ نـزل فـي سـورة الأنفال حيث اقتصر الميراث فقط لذوي الأرحام [2].

من أنكر النسخ من المعاصرين:

تجدر الإشارة إلى أن أصحاب تفسير المنار تابعهم في هذا المنهج بعض المعاصرين، منهم:

١ ــ عبد الكريم الخطيب (ت١٣٩٠هـ): في تفسيره: "التفسير القرآنـي للقرآن"، ورد عليه مؤلف كتاب "اتجاهات التفسير في العصرالراهن د. عبد المجيد المحتسب.

٢ ــ عبد المتعال الجبري (ت١٤١٥هـ): وألف في ذلك كتـابين: الأول بعنوان: "النسخ في الشريعة الإسلامية كما أفهمه ". والثاني بعنوان: " لا نسخ في القرآن، لماذا ؟ ". وتصدى للرد عليه عدد من البـاحثين في مؤلفاتهم منها: " النسخ بين الإثبات والنفـي " لمحمـد محمـود فرغلي، وكتاب: " بيـــــــان بطلان ما جاء في كتاب لا نسخ في القرآن " لحمدي صبح طه.

(١) تفسير ابن كثير: ١ / ٤٨٩، ٤٩١.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢ / ٥١٩٠.

٣ ــ الشيخ محمد الغزالي (ت١٤١٦هـ): في كتابه " نظرات في القرآن"، حيث تساءل قائلاً: هل في القرآن آيات معطلة الأحكام، بقيت في المصحف للذكرى والتاريخ كما يقولون، تقرأ التماساً لأجر التلاوة فحسب وينظر إليها كما ينظر إلى التحف الثمينة في دور الآثار ؟.. من المسلمين من يرون هذا الرأي حين يقولون بالناسخ والمنسوخ على أساس أن الناسخ الأخير أبطل ما صدر قبله من أحكام، وهم يلجأون إلى هذا الفهم إعمالاً للنص الأخير، ودفعاً لما يتوهم من تناقض بين ظواهر الآي.. ونحن لا نميل إلى المسير مع هذا الاتجاه، بل لا نرى ضرورة للأخذ به. ثم يقول: نعم، قد يقع في القرآن تفصيل بعد إجمال، أو تقييد بعد إطلاق، أو تخصيص بعد تعميم، بيد أن ذلك شيء غير زعم بأن هناك آيات بطل حكمها، أو وقف تنفيذها! (٣).

٤ ــ د.جواد موسى محمد عفانه في كتابه: "الرأي الصواب في منسوخ الكتاب" وعلى غلافه عبارة " الآيات المنسوخة رفعها الله ــ تعالى ــ لفظاً وحكماً لا منسوخ في القرآن بتاتاً، حكم الرجم منسوخ يقيناً ".

هؤلاء جملة من أنكر وقوع النسخ في الشريعة الإسلامية من المسلمين.

(١) نظرات في القرآن: محمد الغزالي، مبحث: حول النسخ، ص ١٩٥، ط نهضة مصر. "ويرد عليه بما يرد على أصحاب تفسير المنار في ثنايا البحث ".

(المبحث الثالث)

التأويـــــــــــل

وتحته مطالب:

أولاً: تعريف التأويل لغة:

التأويل مأخوذ من الأَوْل وهو الرجوع، آل الشيءُ يَؤول أَوْلاً ومآلاً رجع، وأَوَّل الشيء رجعه، وأُلْتُ عن الشيء ارتددت، وأَوَّلَ الكلام تأويلاً وتأَوَّله دَبَّره وقدَّره وفَسّرَه، وأوَّله فَسَّره [١].وقيل: التأويل مأخوذ من الإيالة وهي السياسة، فكأن المؤول يسوس الكلام ويضعه في غير موضعه.

قال الزمخشري: " آل الرعيَّة يؤُولُها إيَالة حسنة، وهـو حَـسَنُ الإيَالـة، وأتالها وهو مُؤْتالٌ لقومه مقتالٌ عليهم أي سائس مُحتكمُ " [٢].

ثانياً الفرق بين التفسير والتأويل:

اختلف العلماء في الفرق بينهما على قولين:

القول الأول: أن التفسير والتأويل بمعنى واحد، فهما مترادفان:

قال به جمهور المفسرين المتقدمين كمجاهد والطبري [٣]، وغيرهم [٤].

---

(١) ينظر: القاموس المحيط ١ / ٤٥٧، لسان العرب ١١ / ٣٢ ــ ٣٣.

(٢) أساس البلاغة: الزمخشري، ص ١٢.

(٣) في تفسير الطبري عدة عبارات في التأويل يقصد بها التفسير كقوله: " القول في تأويـل قوله تعالى "، وقوله " وأما تأويل قوله "، وقوله " واختلف أهل التأويل في هذه الآية ".

(٤) ينظر: زاد المسير ١ / ٤، التسهيـل ــ ابن جزي ١ / ٧، روح المعاني: الألوسي ١/٤،

قال الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ): " أوّل الكلام تأويلاً وتأوَّلَهُ، دبِّره وقدَّره وفسَّره " (١).

القول الثاني: أن التفسير والتأويل متغايران: ثم اختلف أصحاب هذا القول في ماهية التغاير ووجوهه على أقوال عدة (٢) ومن ذلك:

١ ــ أن التفسير: أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ، أم التأويل: ففي المعاني، كتأويل الرؤيا، وأكثره يستعمل في الكتب الإلهية، أما التفسير فيستعمل فيها وفي غيرها (٣).

٢ ــ أن التفسير: يتعلق بالرواية، أما التأويل: فيتعلق بالدراية (٤).

٣ ــ أن التفسير: هو الكلام في أسباب النزول وشأنها وقصتها، فلا يجوز إلا بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل، أما التأويل: فهو صرف الآية إلى معنى محتمل موافق لما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة، من طريق الاستنباط (٥).

=مناهل العرفان ٢/ ٧، التحرير والتنوير: ابن عاشور ٢١٦/١، التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي ١ / ٢١.

(١) القاموس المحيط ٣ / ٣٣١.

(٢) ينظر: مقدمة جامع التفاسير ــ الراغب الأصفهاني، ص ٤٧، البرهان: الزركشي ٨٥/٢ روح المعاني ١ /٤، التحرير والتنوير ١ /٨، مناهل العرفان ٢ /٨.

(٣) مقدمة جامع التفسير، ص ٧.

(٤) ينظر: البرهان ٢ / ٢٨٦، الإتقان: ٢ / ٤٢٧، روح المعاني ١ /٤.

(٥) ينظر: البرهان ٢ / ٢٨٥، تفسير البغوي: ١ /٤٦.

٤ ــ أن التأويل: صرف اللفظ إلى ما يؤول إليه، فالمفسر ناقل، والمؤول مستنبط [١]، وهناك فروق أخرى أطال العملاء بذكرها. [٢]

الترجيح: بعد عرض الأقوال ومناقشتها يترجح ــ والله أعلم ــ أن التأويل يأتي على أحد معنيين:

الأول: بمعنى التفسير وهو البيان والتوضيح.

الثاني: ما يؤول إليه الكلام، أي: ظهور المتكلم به إلى الواقع المحسوس، فإن كان خبراً كان تأويله وقوع المخبر به، وإن كان طلباً كان تأويله فعل هذا الطلب فالتأويل هنا فيه نفس الأمور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أم مستقبلة فإذا قيل: طلعت الشمس، فتأويل هذا هو نفس طلوعها، وهذا في نظر ابن تيمية ــ رحمه الله ــ هو لغة القرآن التي نزل بها، وعلى هذا فيمكن إرجاع كل ما جاء في القرآن من لفظ التأويل إلى المعنى الثاني [٣].

يقول العلامة الطبري عند تعريفه بتأويل علم القرآن في مقدمة تفسيره: "فقد تبين ببيان الله ــ جل ذكره ــ أن مما أنزل الله من القرآن على

---

(١) البرهان: ٢ / ٣٠٨.

(٢) للإستزادة ينظر: البرهان ٢ / ٢٨٥، الإتقان ٤٢٦/٢، التيسير في علم قواعد التفسير، محي الدين محمد بن سليمان، الكافيجي، ص ١٢٣، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة المكي، ٧ / ٣٩٠، مفهم التفسير والتأويل، للطيار، ص ١٠٨.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ٣ / ٥٥، درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ١ / ١٤، التفسير والمفسرون، الذهبي ١ / ١٨.

نبيه ﷺ ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ، وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره، واجبه، وندبه، وإرشاده، وصنوف نهيه، ووظائف حقوقه، وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آية، التي لم يُدرك علمها إلا ببيان رسول الله له بتأويله بنص منه عليه أو بدلالة قد نصبها دالة أمته على تأويله، وأن منه ما لا يعلم تأويله إلا الله: وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة، وأوقات آتية كوقت قيام الساعة، والنفخ في الصور، ونزول عيسى بن مريم، وما أشبه ذلك، فإن تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها، ولا يعرف أحد من تأويلها إلا الخبر بأشراطها لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه...، وأن منه ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن. وذلك: إقامة إعرابه، ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها، والموصوفات بصفاتها الخاصة دون ما سواها، فإن ذلك لا يجهله أحد منهم، وبمثل ما قلنا من ذلك روى الخبر عن ابن عباس أن "التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله" (١).

ثالثاً: التأويل عند المتأخرين من المتكلمين والمحدثة والمتفقهة:

هو: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات وترك تأويلها، وهل ذلك محمود أو مذموم أو حق أو باطل ؟ (٢).

(١) تفسير الطبري ١ / ٢٥ " بتصرف ".

(٢) ينظر مجموع الفتاوى ٣ / ٥٥، درء تعارض العقل والنقل ١ / ١٤.

والتأويل يحتاج إلى دليل والمتأول مطالب بأمرين:

الأمر الأول: أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه وادعى أنه المراد.

الأمر الثاني: أن يبين الدليل الذي أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح، وإلا كان تأويلاً فاسداً، أو تلاعباً بالنصوص[1].

أقول: إن اصطلاح التأويل على أنه صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى مرجوح لقرينة تدل عليه، اصطلاح حادث لا يعرف في الكتاب ولا في السنة، ولم يكن عند متقدمي الأمة.

رابعاً: اتباع تفسير المنار للتأويل عن المتأخرين:

إن الأستاذ الإمام وتلميذه يسيران في تأويلهما إلى حمل النص ليوافق العقل، ولو أدى ذلك إلى التأويل الخاطئ، وأستدل على ذلك بأمرين:

الأول: الاستدلال من كلامهما.

الثاني: أمثلة من تفسير المنار توضح معنى التأويل لديهما.

أولاً: الاستدلال من كلامهما:

حدد الشيخ رشيد رضا موقفه وأستاذه الإمام محمد عبده من التأويل أثناء عرض مذهب السلف والخلف عن تنزيه الله مشابهة المخلوقات، ومن خلال هذا العرض يتبين لنا بجلاء موقفهما من التأويل.

---

(١) التفسير والمفسرون ١ / ٢٠.

يقول الشيخ رشيد رضا: " إذا جاء في نصوص الكتاب أو السنة شيء ينافي ظاهره التنزيه فللمسلمين فيه طريقان:

إحداهما: طريقة السلف: وهي التنزيه الذي أيد العقل فيه النقل، كقوله تعالى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾(١)، وتفويض الأمر إلى الله تعالى في فهم حقيقة ذلك.

والثانية: طريقة الخلف: وهي التأويل، يقولون: إن قواعد الدين الإسلامي وضعت على أساس العقل فلا يخرج شيء منها عن المعقول، فإذا جزم العقل بشيء وورد في النقل خلافه يكون الحكم العقلي القاطع قرينة على أن النقل لا يراد به ظاهره، ولابد له من معنى موافق يحمل عليه فينبغي طلبه بالتأويل "(٢).

ويقول الأستاذ الإمام: "وإننا نسير في فهم الآيات على كلا الطريقتين، لأنه لابد للكلام من فائدة يحمل عليها، لأن الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى".

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا: "وإنما أذكر من كلام شيخنا ومن كلام غيره، ومن تلقاء نفسي بعض التأويلات لما ثبت عندي باختبار الناس أن ما انتشر في الأمة من نظريات الفلاسفة ومذاهب المبتدعة المتقدمين والمتأخرين، جعل قبول مذهب السلف واعتقاده يتوقف في الغالب على

(١) سورة الشورى من الآية ١١.

(٢) ينظر: تفسير المنار ١ / ٢٥٢ ــ ٢٥٣ (بتصرف).

تلقيه من الصغر بالبيان الصحيح وتخطئه ما يخالفه، أو طول ممارسة الرد عليهم".

ثم يقول: " إنه لم يطمئن قلبه بمذهب السلف تفصيلاً إلا بعد اطلاعه على كتب ابن تيمية وابن قيم الجوزية رحمهما الله ".

ويتضح الموقف أكثر جلاء حين يقول الشيخ محمد رشيد رضا: " فنحن قد سمعنا بآذاننا شبهات على بعض الآيات والأحاديث لم يسهل علينا دفعها وإقناع أصحابها بصدق لكلام الله وكلام رسوله إلا بضرب من التأويل، وأمثال تقربها من عقولهم ومعلوماتهم أحسن التقريب، وقد غلط كثير من علماء الكلام والمفسرين في بيان مذهب السلف وفي معاني التفويض والتأويل"[1].

تعقيب على معنى التأويل عند أصحاب تفسير المنار:

إن معنى التأويل في تفسير المنار: "صرف اللفظ عن ظاهره لقرينة صارفة " هو معنى حادث اخترعه الأصوليون والمتكلمون، والتأويل على هذا الاصطلاح لا يمكن الحكم عليه إجمالاً، بل لابد من عرضه على نصوص الكتاب والسنة ومفهوم السلف الصالح، فإن وافقها فهو صحيح مقبول، ويكون بمعنى التفسير والبيان، وهذا متفق على قبوله عند السلف.

(١) المرجع السابق: ١ / ٢١٠.

والمحذور: هو ما ذهب إليه أصحاب تفسير المنار،وهو صرف القرآن عن فحواه بغير دلالة من الله ورسوله والسلف الصالح.

شروط التأويل المقبول:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أربعة شروط للتأويل ــ على اصطلاح الأصوليين ــ حتى يكون مقبولاً وهي:

١ــ أن يكون ذلك اللفظ مستعملاً لغة على المعنى المؤول إليه: لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربي، ولا يجوز أن يراد بشيء منه خلاف لسان العرب، أو خلاف الألسنة كلها، وإلا فيمكن لكل مبطل أن يفسر أي لفظ بأي معنى سنح له، وإن لم يكن له أصل في اللغة.

قال الإمام الشوكاني في اشتراط هذا الشرط: " أن يكون موافقاً لوضع اللغة، أو عرف الاستعمال، أو عادة صاحب الشرع، وكل تأويل خرج عن هذا فليس بصحيح ".(١)

ولا تكفي الموافقة فقط: بل لابد من دلالة التركيب والسياق على ذلك التأويل واحتماله له، لأن اللفظ الواحد قد يتغير معناه باختلاف سياق الكلام، لذلك لا يجوز تفسير اللفظ بمعنى يحتمله في أصل اللغة دون نظر إلى موقعه من الكلام في سياقه وتركيبه.

(١) إرشاد الفحول / ٢ / ٧٥٩.

ومثل الإمام ابن القيم رحمه الله، لما لم يحتمله اللفظ من الحيثية اللغوية ولا من الحيثية التركيبية، بتأوليهم قوله تعالى: ﴿ **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** ﴾[1] باستولى، وبيَّن أن هذا لا تعرفه العرف من لغاتها، ولم يقله أحد من أئمة اللغة المتقدمين، ولو فرض احتماله ذلك لغة لم يحتمله في هذا التركيب، لأن استيلاءه ــ سبحانه وتعالى ــ وغلبته للعرش لم يتأخر عن خلق السماوات والأرض، فالعرش مخلوق قبل خلقها بأكثر من خمسين ألف سنة، كما ثبت ذلك في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء "[2].

٢ ــ أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى المعنى المؤول إليه: وإلا فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة، وفي معنى بطريق التأويل لم يجز حمله على التأويل بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العلماء.

قال ابن القيم: "فمن عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب اتباع مراده، والألفاظ لم تقصد لذواتها، وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم، فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق كان، عمل بمقتضاه"[3].

---

(١) سورة يونس من الآية ٣.

(٢) صحيح مسلم ١٧ / ١٧٦ برقم ٦٩١٩.

(٣) إعلام الموقعين ١ / ٢١٨.

٣ــ لابد أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض: وإلا فإذا قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها، ثم إن كان هذا الدليل نصاً قاطعاً لم يلتفت إلى نقيضه، وإن كان ظاهراً فلابد من الترجيح.

٤ــ أن يبين الرسولﷺ للأمة أنه لم يرد حقيقته، وإنما أراد خلاف ظاهره.(١)

ثانياً: أمثلة من تفسير المنار توضح معنى التأويل لديهما:

١ ــ أوَّل الشيخ رشيد رضا المسخ في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾ (٢)بقوله: "فكانوا بحسب سنة الله في طبع الإنسان وأخلاقه كالقردة المستذلة المطرودة من حضرة الناس، والمعنى أن هذا الاعتداء الصريح لحدود هذه الفريضة، قد جرأهم على المعاصي والمنكرات بلا خجل ولا حياء، حتى صار كرام الناس يحتقرونهم، ولا يرونهم أهلاً، لمجالستهم ومعاملتهم " (٣).

ونقل صاحب المنار نصاً لابن جرير الطبري ــ رحمه الله ــ يؤيد فيه مذهبه فيقول إن ابن جرير نقل عن مجاهد ﷺ، أنه قال: " ما مسخت صورهم ولكن مسخت قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار"(٤).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ١٣ / ٢٨٨.

(٢) سورة البقرة الآية ٦٥.

(٣) تفسير المنار: ١ / ٣٤٣.

(٤) يروي الإمام الطبري بسنده: حدثني المثنى قال: ثنا أبو حذيفة قال: ثنا شبل عن أبي نجيح عن مجاهد قال: " مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله لهم

ومن ثم اعترض صاحب المنار على الجمهور بقوله: " وذهب الجمهور إلى أن صورهم مسخت فكانوا قردة حقيقيين، والآية ليست نصاً فيه، ولم يبق إلا النقل، ولو صح لما كان في الآية عبرة ولا موعظة للعصاة "[1].

والملاحظ: أن الشيخ رشيد رضا نقل قولاً عن الإمام الطبري ولم يعرض لترجيحه، فالإمام الطبري رجح أن المسخ كان حسياً ــ لا كما ذكر صاحب المنارــ ورد على قول الإمام مجاهد الذي تبناه صاحب المنار.

قال العلامة الطبري: "ومن أنكر شيئاً من ذلك وأقر بآخر منه سئل البرهان على قوله وعورض ــ فيما أنكر من ذلك ــ بما أقر به ثم ليسأل الفرق من خبر مستفيض وأثر صحيح، هذا مع خلاف قول مجاهد، قول جميع الحجة التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعة عليه، وكفى دليلاً على فساد قول إجماعها على تخطئته " [2].

فأين صاحب المنار من كل هذه النقول، لماذا تخير منها القول الضعيف ولم ينظر إلى ترجيح الإمام الطبري ؟ وإجماع جمهرة المفسرين على تخطئة ما ذهب إليه ؟!

=كمثل الحمار يحمل أسفاراً "، تفسير الطبري ١ / ٦٣، وأورده الحافظ ابن كثير بنفس السند، ينظر: تفسير ابن كثير ١ / ١٠٦.

(١) تفسير المنار: ١ / ٣٤٣ (بتصرف).

(٢) ينظر: تفسير الطبري ١ / ٢٦٣، وممن أكد أن المسخ كان حسياً من المفسرين: تفسير ابن كثير ١ / ١٠٦، الدر المنثور: السيوطي ١ / ١٨٥، زاد المسير: ابن الجوزي، ١ /٨١ وذكر أن قول مجاهد بعيد، الأساس في التفسير: سعيد حوى ١ / ١٥٨.

٢ ــ وأوَّل الخلود في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[١] بما يعارض به أهل السنة باعتباره أن صاحب الكبيرة التي في درجة أكل الربا وقتل العمد يخلد في النار ولا يخرج منها أبداً.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "ومن عاد إلى ما كان يأكل من الربا المحرم بعد تحريمه، فأولئك البعداء عن الاتعاظ بموعظة ربهم الذي لا ينهاهم إلا عما يضر بهم في أفرادهم، أو جميعهم هم أهل النار، الذين يلازمونها، كما يلازم الصاحب صاحبه فيكونون خالدين فيها ". ويقول:" وقد أول الخلود المفسرون لتتفق الآية مع المقرر في العقائد والفقه من كون المعاصي لا توجب الخلود في النار، فقال أكثرهم: إن المراد ومن عاد إلى تحليل الربا واستباحته اعتقاداً، ورده بعضهم بأن الكلام في أكل الربا... "وساق كلاماً طويلاً حاصله: أن منهج السلف وكلام الفقهاء أدى إلى تبجح كثير من الناس بارتكاب هذه الكبائر مع الاعتراف بعظمها.[٢]

هذا هو المنهج الذي اختطه الأستاذ وتلميذه: منهج العقل ولو خالف النصوص قرآنا وسنة، فالقرآن الكريم بين أنه لا يخلد في النار إلا المشركين، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء**﴾ [٣]، وقد تواترت السنة: عن رسول الله ﷺ: " أنه يخرج من

(١) سورة البقرة من الآية ٢٧٥.
(٢) تفسير المنار ٣ / ٩٨ ــ ٩٩.
(٣) سورة النساء من الآية ٤٨.

النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان"[١].

فالقول بعدم خلود أهل النار باستثناء المشركين واجب للأحاديث المتواترة[٢] وتأويل الشيخ رشيد رضا مع معارضته للكتاب والسنة معارض كذلك لقول السلف، موافق لبعض الفرق كالمعتزلة الذين قالوا بخلود أصحاب الكبائر في النار[٣].

٣ ــ وأوَّل الشيخ محمد رشيد رضا الإمداد في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾[٤] بقوله: " إن هذا الإمداد أمر روحاني يؤثر في القلوب فيزيد في قوتها المعنوية، فقال: " **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى** " أي: وما جعل ــ عز شأنه ــ هذا الإمداد إلا بشرى لكم بأن ينصركم كما وعدكم... إلى أن قال: " وما أدري أين يضع بعض العلماء عقولهم عندما يغترون ببعض الظواهر وببعض الروايات الغريبة التي يردها العقل، ولا يثبتها ما له قيمة من النقل، فإذا كان تأييد الله للمؤمنين بالتأييدات الروحانية التي تضاعف القوة المعنوية، وتسهيله لهم الأسباب الحسية كإنزال المطر وما كان له من الفوائد لم يكن كافياً لنصره إياهم على المشركين بقتل سبعين وأسر سبعين حتى كان ألف، وقيل: آلاف من الملائكة يقاتلونهم معهم فيفلقون

---

(١) صحيح البخاري ١ / ١٩ برقم ٤٤.وتفسير ابن كثير ١ / ٥٣٧.

(٢) فتح القدير: الشوكاني، ١ / ٢٩٦.

(٣) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري، ١ / ٥٦.

(٤) سورة الأنفال الآية ٩.

منهم الهام ويقطعون من أيديهم كل بنان، فأي مزية لأهل بدر فضلوا بها على سائر المؤمنين من بعدهم " ثم قال: " ألا إن في هذا من شأن تعظيم المشركين ورفع شأنهم وتكبير شجاعتهم وتصغير شأن أفضل أصحاب الرسول وأشجعهم ما لا يصدر عن عاقل إلا وقد سلب عقله لتصحيح روايات باطلة لا يصح لها سند، ولم يرفع منها إلا حديث مرسل عن ابن عباس ذكره الألوسي وغيره بغير سند، وابن عباس لم يحضر غزوة بدر لأنه كان صغيراً فرواياته عنها حتى في الصحيح مرسلة، وقد روي عن غير الصحابة حتى عن كعب الأحبار وأمثاله"[1].

ومن أوضح الأدلة على بطلان هذا التأويل ــ فضلاً عن ثبوته في صحيح البخاري[2] ــ التعبير بالملائكة في بيان الله ــ عز وجل ــ لئلا يتوهم البعض أنه من المدد الروحي، أو القوة المعنوية، أو نحو ذلك.

ومن أوضح الأدلة كذلك: ضبط البيان الإلهي الملائكة بعدد محدود،وهو الألف، إذ العدد من مستلزمات الكم المنفصل في الأشياء، ولا يكون ذلك إلا في الأشياء المادية المحسوسة، ثم إن نزول الملائكة للقتال مع المسلمين إنما هو مجرد تطمين لقلوبهم، واستجابة حسية لشدة استغاثتهم، اقتضاها أنهم يقفون مع أول تجربة قتال في سبيل الله، لأناس يبلغون ثلاثة أضعافهم

(١) تفسير المنار ٩ / ٥٦٦ ــ ٥٦٧.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه ١٣ / ٣٥٦ برقم ٣٩٩٥ عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر " هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب ".

في العدة والعدد، وإلا فإن النصر من عند الله وحده، ومن أجل بيان هذه الحقيقة قال تعالى معللاً نزول الملائكة: ﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (١)،(٢).

قال الحافظ بن حجر في الفتح: " قال الشيخ تقي الدين السبكي: سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ﷺ مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه، فقلت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ وأصحابه، وتكون الملائكة مدداً، على عادة مدد الجيوش، رعاية لصورة الأسباب وسننها التي أجراها الله تعالى في عباده، والله تعالى هو فاعل الجميع، والله أعلم "(٣). يضاف إلى ذلك أن مشاركة الملائكة يوم بدر تشريف لهم، كما هو منقبة عظيمة لكل من شارك فيها.

خامساً: القول الحق في منهج تفسير المنار في التأويل:

إن ما ذكر من أمثلة دون استقصاء لعباراتهم ــ ولو فعلنا لطال بنا المقام والمقال ــ دليل على اتخاذ أصحاب تفسير المنار العقل حكماً ودليلاً ، فقد ألقوا نظرة في كثير من التفاسير السابقة فوجدوا أكثرها مليئاً بما يناقض العقل من الأقوال ــ في نظرهم ــ فنقدوه وأبطلوه، ووجدوا في معظمها

(١) سورة الأنفال الآية ١٠.

(٢) فقه السيرة: البوطي، ص ٢٢٣، بتصرف.

(٣) فتح الباري ٧ / ٣١٣.

إيماناً وتسليماً بما لا يدركه العقل فأولوه، فالعقل عندهم هو الحكم فيما أشكل عليهم وأبهم في كبير الأمور وصغيرها.

سادساً: خطورة هذا المنهج:

تكمن خطورة هذا المنهج فيما يولد منه، فلقد أصبح أساساً لأشياء كثيرة منها ذم التقليد والدعوة إلى الاجتهاد، ورد بعض الأحاديث الصحيحة لمخالفتها لبعض ما يذهبون إليه، وتأويل معجزات الأنبياء بما يبطلها، وتأويل القصص القرآني بالتمثيل، وتفسير الجن بغير ما هو معروف عند السلف، والتكذيب بتأثير السحر وغير ذلك.

سابعاً: رأي بعض المعاصرين في هذا المنهج:

إن التحكيم للعقل عند الإمام محمد عبده وتلاميذه هو الذي حمل الأستاذ عباس محمود العقاد (ت١٣٨٤هـ) على أن يقول عنه: " فهو مع الفلاسفة والمعتزلة في تحكيم العقل والقياس على المنطق والعلوم الكونية"[١].

وانتقد الدكتور سليمان دنيا (ت١٤٠٦هـ) طريقة الأستاذ الإمام محمد عبده في قوله: " والحق الذي يرشد إليه الشرع والعقل أن يذهب الناظر المتدين إلى إقامة البراهين الصحيحة على إثبات صانع واجب الوجود، ثم منه إلى إثبات النبوات، ثم يأخذ كل ما جاءت به النبوات بالتصديق التسليم، بدون فحص فيما تكنه الألفاظ إلا فيما يتعلق بالأعمال على قدر الطاقة، ثم

(١) محمد عبده: عباس محمود العقاد، ص ٢٣٩.

يأخذ طريق التحقيق في تأسيس جميع عقائده بالبراهين الصحيحة كان ما أدت إليه ما كان، لكن بغاية التحري والاجتهاد، ثم إذا فاء من فكره إلى ما جاء من عند ربه فوجده بظاهره ملائماً لما حقق فليحمد الله على ذلك، وإلا فليقل: آمنا به كل من عند ربنا، فإنه لا يعلم مراد الله ونبيه إلا الله ونبيه؟[1].

ثم ختم الدكتور سليمان دنيا مناقشته الطويلة لآراء الإمام محمد عبده بقوله: "ثم إن لمنهج الشيخ محمد عبده جانباً آخر له خطورته أيضاً، ذلك أنه طريق تفريق للأمة لا طريق تجميع، ذلك أنه إذا اعتمد كل إنسان على نفسه وعقله فقط فقلما ينتهي واحد إلى مثل ما ينتهي إليه الآخر وهؤلاء هم الفلاسفة لأن كل واحد منهم يعول على نفسه وعقله فقط، نجدهم في الغالب متفرقين، قلما يلتقون على شيء واحد من كل الوجوه، وقد كان هدف المشرع ﷺ من قوله: " من هم على ما أنا عليه وأصحابي"[2] أن يجمع شمل الأمة في مستقبلها كما اجتمعت في ماضيها، فيكون لها كيان ديني موحد يكون شعارها وعنوانها ومبعث فخرها، ومناط قوتها، لا أن يكون كل واحد منها فرقة برأسه يخالف الآخرين، ويخالفه الآخرون"[3].

---

(١) منهج الإمام محمد عبده: عبد الله محمود شحاته، ص ٩٨.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٥ / ٢٦ برقم ٢٦٤١، وحسنه الألباني، وفيه: "... وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله، قال: "ما أنا عليه وأصحابي ".

(٣) ينظر: محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين ــ تحقيق: سليمان دنيا، ص ٢٥، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ــ فهد بن عبد الرحمن الرومي، ١ / ٣٠٦.

ويتحدث الدكتور: عبد الله محمود شحاته (ت١٤٢٢هـ) عن الذين تأثر بهم الأستاذ الإمام فيقول: " وقد كان الإمام الأستاذ متأثراً في حديثه عن المعجزات والنبوات بالمؤلفين الفرنسيين، فهو يحاول أن يقرب إلى الأذهان المعجزات الإلهية، ويعلل وقوعها بما يوافق العلم والعقل ويقربها من خضوع الأسباب للمسببات "[١].

ويرى أيضاً أن الأستاذ الإمام كان متأثراً في نفيه السحر عن الرسول ﷺ بعدة أمور:

١ـ محاولة إظهار الإسلام أمام المستشرقين والمتمدينين بمظهر الدين العلمي المنهجي الذي لا يعترف بالسحر ولا بالخرافة.

٢ـ وجد الإمام في آراء المعتزلة تراثاً عقلياً وذخيرة فكرية فهم يرفضون الإيمان بالسحر، والكهانة، والشفاعة، وكرامات الأولياء، ويؤولون النصوص الدينية التي تثبتها، وقد سار الإمام على طريقهم... [٢].

(١) منهج الإمام محمد عبده: عبد الله محمود شحاته، ص ٩٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٦.

(المبحث الرابع)

علم المناسبات

وتحته مطالب:

أولاً: تعريف المناسبات لغة واصطلاحاً:

المناسبات في اللغة:

قال في معجم المقاييس: " النون والسين الباء كلمة واحدة، قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب، سُمي لاتصاله وللاتصال به "[٢].

والنسبة: " هي إيقاع التعلق بين الشيئين "[٣]. وهي تشتمل كل اتصال، سواء كان ذلك من وجه أو من أوجه متعددة، فيدخل فيها كل تعلق أو اتصال أو تشاكل أو ترابط بين شيئين بأي وجه من الوجوه [٤].

وعلم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل الترتيب بين أجزائه بعضها إثر بعض "[٤].

ثانياً: نشأة هذا العلم والمؤلفات فيه:

لقد تضمن كلام السلف والتابعين إشارات متفرقة إلى الاهتمام بترابط

---

(١) معجم مقاييس اللغة ــ ابن فارس، ٥ /٤٢٣ مادة " نسب ".

(٢) التعريفات: الجرجاني، ص ٣٨.

(٣) ينظر المناسبات في القرآن الكريم، رسالة ماجستير للباحث/ عبد الله القرني، ص ١٥.

(٤) ينظر: نظم الدرر ١ / ٢٦، الإعجاز البياني: د. محمد القاسم، ص ٣١.

الآي، والعناية بالسياق، من ذلك ما جاء عن قتادة ﷺ (ت ١١٧هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا**﴾ (١).

يقول: " خيرهن بين الدنيا والآخرة في شيء كن أردنه في الدنيا... فلما اخترن الله ورسوله شكرهن على ذلك فقال: ﴿ **لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ** ﴾ (٢) فقصره عليهن " (٣).

ثم جاء ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) وأظهر عناية بهذا العلم في كتبه التي صنفها للرد على ما أثير من شبه في أسلوب القرآن، والتي كان من أشهرها " تأويل مشكل القرآن "، ثم تناوله المفسرون في تفاسيرهم كما فعل ابن جرير الطبري في تفسيره من غير تصريح به (٤).

وأول من ذكر عنه الاعتناء والصريح بهذا العلم أبو بكر عبد الله بن زياد(٥) المفسر (ت٣٢٤هـ) من علماء بغداد، وذكر من شأنه أنه كان يجلس للتعليم، وكان يقول إذا قرئت عليه الآية، لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟

---

(١) سورة الأحزاب من الآية ٢٨.

(٢) سورة الأحزاب من الآية ٥٢.

(٣) تفسير قتادة ﷺ: دراسة للمفسر ومنهج تفسيره، لعبد الله السعود بدر، ص ٧١، ٧٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ١ / ٦٩ ــ ٨٥ ــ ١٠٨ ــ ١٠٩، ٤ / ٦.

(٥) هو عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري، إمام الشافعيين في عصره بالعراق، برع في الحديث والفقه، وكان من الحفاظ المجودين، توفي سنة ٣٢٤هـ. ينظر: ترجمته: تاريخ بغداد ــ للخطيب البغدادي، ١٠ /١١١، السير: الذهبي، ١٥ / ٦٥.

وذكر عنه أنه كان يعيب على علماء بغداد عدم علمهم بالمناسبة،[١] وقد عده السيوطي أول من سبق إلى هذا العلم [٢].

ثم تناول القاضي أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) هذا العلم بالتمثيل والتقعيد فيما كتبه في إعجاز القرآن الكريم. [٣]

ثم جاء الجرجاني (ت ٤٧٨هـ) وأظهر نظرية النظم واهتم بها في كتابه "دلائل الإعجاز " والذي أثبت فيه أن القرآن معجز بنظمه.

" والنظم: هو تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات"[٤]

ثم ظهرت تطبيقات واسعة في مجال تناسب وترابط القرآن الكريم في تفسير الزمخشري، وابن عطية، وابن العربي.

ثم جاء فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) الذي يعد ــ بحق ــ من أكثر المفسرين اهتماماً بعلم مناسبات القرآن إيراداً وتطبيقاً، فأشار في تفسيره الكبير إلى أوجه الترابط بين الآي والمقاطع مع معرفة دقيقة وإبراز جيد[٥].

وساهم علماء علوم القرآن في إثراء هذا العلم: كما فعل أبو جعفر بن الزبير الأندلسي (ت٧٠٨هـ) في كتابه " البرهان في تناسب سور

(١) البرهان. ١ / ٦٢ (بتصرف).
(٢) معترك الأقران: السيوطي، ١ /٥٥.
(٣) ينظر: إعجاز القرآن: الباقلاني، ص ٨ ــ ١٣.
(٤) التعريفات: الجرجاني، ص ٣١.
(٥) المناسبات في القرآن الكريم: عبد الله بن مقبل القرني، ص ١٥٦.

القرآن"[١]، وحث على معرفته وتدبره شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: " فتدبر تناسب القرآن وارتباط بعضه ببعض " [٢].

وحض الزركشي على معرفة هذا العلم في مواضع من كتابه " البرهان"[٣]

وألف البقاعي (ت٨٨٥هـ) كتاب: " نظم الدرر في تناسب الآي والسور " وهو أول من كتب تفسيراً خصه بالتناسب بين الآيات والسور.

وأشاد السيوطي بهذا العلم وألف فيه " تناسق الدرر في تناسب السور "، ولقي هذا العلم اهتماماً ورعاية ضمن تفاسير القرآن كما فعل الإمام الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) في تفسير " روح المعاني ".

واهتم به الأستاذ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار، والشيخ السعدي، والطاهر بن عاشور في " التحرير والتنوير " ولهم فيه آراء قيمة، ودوّن في جوانب هذا العلم عدد من الرسائل العلمية[٤].

---

(١) مطبوع بتحقيق الأستاذ: محمد شعباني.

(٢) مجموع الفتاوى: ١٤ / ٤٦.

(٣) ينظر البرهان: ١ / ٣٦ ــ ٣٧ ــ ٦٠..

(٤) من ذلك: رسالة " إمعان النظر في نظام الآي والسور " للباحث محمد عناية الله هداية الله رسالة ماجستير ــ جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠١هـ، ورسالة " المناسبات في القرآن الكريم " دراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي ــ للباحث: عبدالله ابن مقبل، ماجستير ــ جامعة أم القرى ١٤١٣هـ.

ثالثاً: أنواع المناسبات:

حصر الباحثون المهتمون بهذا العلم المناسبات على قسمين، ويتضمن كل قسم عدة أنواع:

القسم الأول: مناسبات السور: ويدخل تحتها الأنواع الآتية:

١ ــ مناسبة السورة للسورة.

٢ ــ مناسبة آخر السورة لأول ما قبلها.

٣ ــ مناسبة أول السورة وخاتمة ما قبلها.

٤ ــ مناسبة فاتحة السورة وفاتحة التي قبلها كالحواميم.

٥ ــ مناسبة مضمون السورة لمضمون ما قبلها.

٦ ــ تناسب مجموعة سور كالسبع الطوال، والحواميم، والمسبحات.

القسم الثاني: مناسبة الآيات، وتتضمن أنواعاً وهي:

١ ــ الربط بين الآية والآية.

٢ ــ الربط بين عدة آيات.

٣ ــ الربط بين مقطع ومقطع.

٤ ــ مناسبة آخر الآية لأولها، وهو ما يعرف بالتذييل والفاصلة.

٥ ــ الربط بين أجزاء الآية الواحدة.

٦ــ مناسبة أول السورة لآخرها، وهو ما يعرف بمناسبة فواتح السور لخواتهما

٧ ــ الربط بين أجزاء السورة، أي: جميع الآيات في السورة الواحدة [١].

وتنقسم المناسبات ــ أيضاً ــ من حيث الخفاء والوضوح إلى ثلاثة أقسام:

١ــ مناسبة ظاهرة جلية: وهي ما تنبني على الصلات الواضحة القريبة، وهو أن تكون الثانية مكملة للأولى، أو على جهة التأكيد أو التفسير أو الاعتراض الشديد [٢]، وهذا القسم واضح لا يحتاج إلى ذكر مثال.

٢ــ مناسبة خفية: ومثلوا لها بمثل قوله تعالى: ﴿**حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ**﴾ [١] عقيب أحكام الطلاق [٢].

٣ــ مناسبة متوسطة بين الخفاء والوضوح، ويمثل لها بالسؤال عن الأهلة[٣].

---

(١) ينظر الإعجاز البياني في ترتيب القرآن وسوره: د. محمد أحمد يوسف القاسم، ص ٢٩٨ ــ ٤١٣.

(٢) الإتقان: ٢ / ٢٣٥.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣٨.

(٤) الإعجاز البياني: ص ٤٦٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٦٨.

رابعاً: المناسبات بين القبول والرد:

انقسم العلماء في ذلك إلى صنفين:

الصنف الأول: المثبتون للمناسبة بين السور والآيات: كالباقلاني، والزمخشري وابن عطية، والرازي، وغيرهم [١].

ومن ذهب إلى هذا الرأي لا يشترط في الجامع بين الآيات أو السور أن يكون من كل وجه، بل يكفي التعلق على أي وجه كان [٢].

مما احتج به المثبتون:

١ ــ أن استنباط المناسبة من التدبر لكتاب الله، المأمور به في قوله تعالى ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾ [٣]، وهو نوع من التفسير للقرآن الكريم [٤].

٢ ــ أن فهم كتاب الله ومعرفة أحكامه المستنبطة منه، لا يمكن إلا بمعرفة ارتباط أوله بآخره، وآخره بأوله، ومعرفة السباق والسياق واللحاق.

يقول الإمام الشاطبي (ت٧٩٠هـ) ــ رحمه الله ــ: " فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذلك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف"[٥].

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن ٨ / ١٣، الكشاف ١ / ١١٩، المحرر الوجيز ٣ / ٤٦٠، تفسير الرازي ٣ / ٤٢١.

(٢) الإتقان: ٢ / ٢٣٧.

(٣) سورة محمد من الآية ٢٤.

(٤) المناسبات في القرآن الكريم، ص ١٠٣.

(٥) الموافقات، ٤ / ٢٦٦.

٣ــ أن في إثبات المناسبة إثبات وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم في نظمه والقرآن معجز في نظمه كما هو معجز في فصاحته وأحكامه[١].

٤ــ أن معرفة المناسبة يعين على فهم الآية، ويقلل الاختلاف في فهمها، وهو من المرجحات عند الاختلاف[٢]، هذا مجمل أدلتهم.

الصنف الثاني: المانعون: اعتبر المانعون للمناسبة أنها علماً متكلفاً،وأن الأصل

عدم التناسب، وزعموا أن القرآن جاء على طريقة العرب في الاقتضاب، والذي هو الانتقال إلى غير ملائم [٣]، فقارئ القرآن يجد السورة تشمل عدة موضوعات،لاعلاقة بينهما ولا رابط، وممن ذهب إلى ذلك: العز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ)، والشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، ومحمد صديق خان (ت ١٣٧٠هـ) وغيرهم، ــ على اختلاف في إنكار المناسبة ــ.[٤]

وقد رد العلماء على هذا الرأي، ونفوا دعوى الاقتضاب في القرآن:

قال ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، بعد أن ذكر رأي القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) وهو أن كتاب الله خال من التخلص: " وهذا القول فاسد، لأن حقيقة

(١) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم ــ ص ٥٨.

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين ــ حسين بن على العربي ١ / ٢٩٩.

(٣) البرهان ١٣ / ٧٠، الإتقان ٢ / ٢٣٧،.

(٤) ينظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، العز بن عبد السلام، ص ١٢١، فتح القدير ١٧١/١، فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق جان، ١٥١/١.

التخلص إنما هي الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بلطيفة تلائم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه، وفي القرآن مواضع كثيرة كالخروج من الوعظ والتذكير والإنذار والبشارة بالجنة إلى أمر ونهي ووعد ووعيد، ومن محكم إلى متشابه، ومن صفة لنبي مرسل وملك منزل إلى ذم شيطان مريد وجبار عنيد، بلطائف دقيقة آخذ بعضها برقاب بعض"[١].

فإدراك المناسبات علم توفيقي: يرجع إلى توفيق الله للمتدبر، ويشترط له ما يشترط للتفسير لكي يكون مقبولاً، فلابد من السير على قواعد سليمة، بعيداً عن الهوى والجهل والمخالفة والتكلف[٢]. ثم إن الترابط أمر تقره العقول وتشهد به النفوس، والقرآن مترابط وإن لم يدرك وجه ترابطه، ثم إن التناسب هو أحد وجوه الإعجاز في كتاب الله، وللإعجاز أوجه أخرى، فجهله في موطن أو مواطن لا يضر، والنظر في المناسبة هو اختبار لما في حس المتدبر من صحة أو اختلال[٣].

خامساً: موقف تفسير المنار من علم المناسبات:

بعد استقراء كامل لتفسير المنار يتضح أن الأستاذ الإمام وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا ليسا من المؤيدين للوحدة الموضوعية " المناسبات " بين

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ٢ / ١٨٨.

(٢) المناسبات في القرآن الكريم، ص ١١٤.

(٣) ينظر: المناسبات في القرآن ص ١١٧، النبأ العظيم: د. محمد عبد الله دراز، ص ١٦٢.

الآيات والسور فحسب، بل إنهما جعلا الوحدة الموضوعية بين الآيات والسور أصلاً من أصول التفسير الذي لا يمكن الاستغناء عنه، ولو تعارض مع أسباب النزول أو أقوال المفسرين فإن السبق له، ولا عبرة بما سواه.

مما جعل تفسير المنار مبدعاً في منهجه في المناسبات بين الآيات والسور، منتقداً في مواطن أخرى، وسأسير مع هذين الاتجاهين مبيناً ما أصل إليه من نتائج مؤيداً لما أقول بأمثلة توضيحية في المحورين التاليين:

أولاً: منهج المنار في علم المناسبات:

أستطيع أن أوجزه في النقاط التالية:

(١) علم المناسبات أصل من أصول التفسير عند الإمام وتلميذه:

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في معرض حديثه عن أهمية علم المناسبات بين السور والآيات: " ولعمري إن وجود الاتصال بين الآيات وما قبلها من دقائق المناسبات لهي ضرب من ضروب البلاغة، وفن من فنون الإعجاز، إذا أمكن للبشر الإشراف عليه، فلا يمكنهم البلوغ إليه"[١].

ويقول في موضع آخر: " وهذا الضرب من البيان ما امتاز به القرآن على سائر الكلام، فإنك لترى فيه فنوناً من الاستدراك والاحتراس قد جاءت في خلال القصص وسياق الأحكام، تقرأ الآية في حكم من الأحكام،

(١) تفسير المنار: ١ / ٢٠٥.

أو عظة من المواعظ أو واقعة تاريخية، فيها عبرة من العبر، فتراها مستقلة بالبيان ولكنها باتصالها بما قبلها قد أزالت وهماً أو تممت حكماً.

قال الأستاذ الإمام: وسنعطي هذا الموضوع حقه من البيان"[1].

(٢) الوحدة الموضوعية بين الآية وسابقتها:

أ ــ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [2].

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: " ووجه المناسبة والاتصال بين هذه الآية وما قبلها ظاهر على هذا التفسير فإن فيها إبطال ما كان عليه أهل الملل السابقة من اعتقاد أن العبادة لله تعالى، لا يصح أن تكون إلا في الهيكل والمعبد المخصوص، وفي إبطال هذا إزالة ما عساه يتوهم من وعيد من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه،ــ من أنه وعيد على إبطال العبادة في المواضع المخصوصة لأنه إبطال لها بالمرة، إذ لا تصح إلا في تلك المواضع، فهذه الآية تنفي ذلك التوهم من حيث تثبت لنا قاعدة من أهم قواعد الاعتقاد، وهي أن الله تعالى لا تحده الجهات، ولا تحصره الأمكنة... ولا تنحصر عبادته في الهياكل والمساجد، وإنما ذلك الوعيد لانتهاك حرمات الله وإبطال نوع من أنواع عبادته، وهو العبادة الاجتماعية

(١) المرجع السابق / ١ / ٣٥٩.

(٢) سورة البقرة الآية ١١٥.

التي يجتمع لها الناس في أشرف المعاهد على خير الأعمال التي تطهر نفوسهم وتهذب أخلاقهم..." (١).

ب ــ وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾(٢) وعلاقتها بما قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿ **لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ (٣).

يقول الأستاذ الإمام: " وجه الاتصال بين هذه الآية وما قبلها: هو أن ما ذكر في الآية السابقة من البلاء الذي يصاب به المؤمنون إنما يصابون به لأخذهم الحق ودعوتهم إليه، محافظتهم في الشدائد عليه، فناسب بعد ذكر ذلك البلاء الذي أخذ الله به المؤمنين، ووطن عليه نفوسهم ــ ليثبتوا ويصبروا ــ أن يذكر لهم مثل الذين خلوا من قبلهم، إذ أخذ عليهم الميثاق ببيان الحق، فكان من أمرهم ما استحقوا به الوعيد المذكور في الآية، فهو يذكر المؤمنين بعد ذلك، كأنه يقول لهم: إنكم إذا كتمتم ما أنزل عليكم يكون وعيدكم كوعيدهم "(٤).

---

(١) تفسير المنار: ١ / ٣٥٨.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨٧.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٨٦.

(٤) تفسير المنار: ٤ / ٢٢٨.

(٣) الوحدة الموضوعية في السورة الواحدة:

فنجد الأستاذ الإمام وتلميذه يربطان بين مجموعة آيات في السورة الواحدة لإظهار مدى المناسبة بينها، دلالة على إعجاز القرآن الكريم في نظمه، وهاك أمثلة على ذلك:

أ ــ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ .[١]

ذكر المناسبة بينها وبين تسع آيات بعدها.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: " ذكر الأستاذ الإمام ــ رحمه الله ــ في وجوه الاتصال بين هاتين الآيتين وما قبلهما صفوة ما قاله المفسرون مُوَضَّحاً، ونذكر صفوة ما قاله كذلك: الكلام في الأموال بدأ بالترغيب في الصدقات والإنفاق في سبيل الله، وذلك محض الرحمة، وثنى بالنهي عن الربا الذي هو محض القساوة، ثم جاء بأحكام الدين والتجارة والرهن، أقول: وهي محض العدالة، فقد أمرنا الله ببذل المال حيث ينبغي البذل، وهو الصدقة والإنفاق في سبيله، وبتركه حيث ينبغي الترك، وهو الربا، وبتأخيره حيث ينبغي التأخير وهو إنظار المعسر، وتحفظه حيث ينبغي الحفظ وهو كتابة الدين والإشهاد عليه وعلى غيره من المعاوضات، وأخذ الرهن إذا لم يتيسر الاستيثاق بالكتابة والإشهاد، ذلك بأن من يضيع ماله

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٤.

بإهمال المحافظة عليه لا يكون محموداً عند النـــاس ولا مـــأجوراً عنـــد الله..."[١].

ب ــ وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[٢] يقول الأستاذ الإمام: " وجه الاتصال بين هذه الآيات وما قبلها، أن ما قبلها في بيان أن الله نصير المؤمنين وهم أذلة، وأنهم إنما نصروا بتقوى الله وامتثال الأمر والنهي، وكذلك خذلوا في أُحُد عند المخالفة والطمع في الغنيمة، وقد جاء هذا بعد النهي عن اتخـــاذ البطانة من اليهود، وبيان أنه لا يضر المؤمنين كيد هـــؤلاء اليهـــود مـــا اعتصموا بالصبر والتقوى..، فكان ترتيب الآيات هكذا: نهاهم عن اتخـــاذ البطانة من اليهود وأمثالهم من المشركين بشروطها...، ثم بين لهـــم مـــا يتقون به ضررهم وشر كيدهم، وهو تقوى الله وطاعته، وطاعة رسوله، ثم ذكرهم بما يدل على صدق ذلك طرداً وعكساً بذكر وقعة بدر ووقعة أحد، ثم نهاهم عن عمل آخر من شر أعمال أولئك اليهود ومن اقتدى بهم مـــن المشركين وأشدها ضرراً هو أكل الربا أضعافاً مضاعفة... " [٣].

(٤) الوحدة الموضوعية بين السورة والسورة:

للتأكيد على الوحدة الموضوعية بين آيات القرآن الكريم نجد الأستاذ الإمام عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَـــا أَوْ**

(١) تفسير المنار: ٣ / ٩٨.
(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٠.
(٣) تفسير المنار: ٤ / ١٠٠ ــ ١٠١.

مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾ [1] يقول ــ بعد استعراض آراء المفسرين ــ: "... هذا تقرير ما جرى عليه المفسرون في الآيات،وإذا وازنا بين سياق آية ﴿**مَا نَنسَخْ**﴾، وآية ﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ**﴾ [2]، نجد أن الأولى ختمت بقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ ، والثانية بقوله: ﴿ **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ**﴾ ونحن نعلم شدة العناية في أسلوب القرآن بمراعاة هذه المناسبات، فذكر العلم والتنزيل ودعوى الافتراء في الآية الثانية يقتضي أن يراد بالآيات فيها آيات الأحكام، وأما ذكر القدرة والتقرير بها في الآية الأولى، فلا يناسب موضع الأحكام ونسخها، وإنما يناسب هذا العلم والحكمة"[٦].

سادساً: ما ينتقد فيه تفسير المنار فيما يتعلق بالمناسبات:

(١) المبالغة في الاهتمام بالمناسبة بين الآيات:

لقد وضع الأستاذ الإمام وتلميذه المناسبة بين الآيات هدفاً أصيلاً في التفسير ومن ثم أوقعتهما المبالغة في إيجاد مناسبات بين الآيات إلى التكلف الزائد عن حده.

ومن الأمثلة على ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي**

(١) سورة البقرة الآية ١٠٦.

(٢) سورة النحل من الآية ١٠١. (٦) تفسير المنار: ١، ٤١٦.

سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[1]، ووجه اتصالها بما قبلها يقول الشيخ رشيد رضا: " إن وجه الاتصال بين آيات هذه القصة وما قبلها، هو أن الآيات التي قبلها نزلت في شرع القتال لحماية الحقيقة، وإعلاء شأن الحق، وبذل المال في هذه السبيل، سبيل الله لعزة الأمم ومنعتها، وحياتها الطيبة التي يقع من ينحرف عنها من الأقوام في الهلاك والموت، كما علم من قصة الذين خرجوا من ديارهم فارين من عدوهم على كثرتهم، وهذه القصة ــ قصة قوم من بني إسرائيل ــ تؤيد ما قبلها من حاجة الأمم إلى دفع الهلاك عنها، فهي تمثل لنا حال قوم لهم نبي يرجعون إليه، وعندهم شريعة تهديهم إذا استهدوا... وجاءت هذه القصة الإسرائيلية تمثل العبرة فيه، وتفصل كيفية احتياج الناس إليه، إذ بينت أن هؤلاء الناس احتاجوا إلى مدافعة العادين عليهم واسترجاع ديارهم وأبناءهم... " [2].

ولا يخفى ما في هذه المناسبات من تكلف.

(٢) ردُّ التفسير إذا تعارض مع ترابط الآيات ووحدة السورة:

أ ــ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً** ﴾[3] الآية والمناسبة بينها وبين الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ** ﴾ [4]، يقول الشيخ رشيد رضا: "... ثم

(١) سورة البقرة من الآية ٢٤٦.
(٢) تفسير المنار: ٢ / ٣٧٥ ــ ٣٧٦.
(٣) سورة البقرة من الآية ٢٩.
(٤) سورة البقرة من الآية ٢٨.

بعد بيان بعض آياته في أنفسهم بذكر المبدأ والمنتهى، ذكرهم بآياته في الآفاق، فقال: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً** ﴾ فالكلام على اتصاله وتوثيقه وانتظام جواهره في سلك أسلوبه، فليس في قوله ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ**﴾... الخ، انتقال لإثبات البعث كما قال بعض المفسرين غفلة عن هذا الاتصال المبين.. " (١).

والصواب: ما عليه المفسرون أن الآية دليل على البعث.

قال ابن كثير: " أي: الذي قدر على البداءة قادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى "(٢).

وقال الشوكاني: ﴿ **ثُمَّ يُحْيِيكُمْ** ﴾ يوم القيامة، وقد ذهب إلى هذا جماعة من الصحابة فمن بعدهم، قال ابن عطية: وهذا القول هو المراد بالآية "(٣).

وقال السعدي: " هذا استفهام بمعنى التعجب والتوبيخ والإنكار، أي: كيف يحصل منكم الكفر بالله، الذي خلقكم من العدم، وأنعم عليكم بأصناف النعم، ثم يميتكم عند استكمال آجالكم، ويجازيكم في القبور، ثم يحييكم بعد الموت والنشور، ثم إليه ترجعون، فيجازيكم الجزاء الأوفى"(٤).

---

(١) تفسير المنار: ١ / ٢٠٥.
(٢) تفسير ابن كثير: ٧ / ٢٧٠.
(٣) فتح القدير: ١ / ٦٢.
(٤) تفسير السعدي: ١ / ٤٨.

ب ــ وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ (١).

يقول الأستاذ الإمام: " قالوا: كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، والله لم يقل ذلك، ولا قاله رسوله ﷺ، ولا هو مما يعرف بالرأي،ولم يثبته تاريخ يعتد به، والروايات عن مفسري السلف متعارضة وفي أسانيدها ما فيها... وأنت ترى أنه لا دليل في الآية على أن الرزق كان من خوارق العادات، وإسناد المؤمنين الأمر إلى الله في مثل هذا المقام معهود في القديم والحديث " (٢).

أقول: إن اعتراض الأستاذ الإمام على المفسرين في تفسير " الرزق " ليس في محله، قال الحافظ ابن كثير: "... ﴿**وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً**﴾ قال مجاهد، وعكرمة وسعيد بن جبير، وأبو الشعثاء، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وقتادة، والربيع بن أنس، وعطية العوفي، والسعدي، والشعبي، يعني: وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف... وقيل: علماً، والأول أصح، وفيه دلالة على كرامات الأولياء، وفي السنة لهذا نظائر كثيرة فإذا رأى زكريا هذا عندها ﴿**قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا**﴾ (٣).

---

(١) سورة آل عمران من الآية ٣٧.

(٢) تفسير المنار: ٣ / ٢٤٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢ / ٣٦.

وفي صحيح البخاري كتاب التفسير: " **رزقاً** ": فاكهة ونحوها في غير وقتها [١]. يقول الأستاذ الإمام: " أما ما سيقت القصة لأجله وهو الذي يجب أن نبحث فيه،... فهو تقرير نبوة النبي ﷺ ودحض شبه أهل الكتاب الذين احتكروا فضل الله وجعلوه خالصاً بشعب إسرائيل، وشبهة المشركين الذين كانوا ينكرون نبوته لأنه بشر.. "[٢].

فقد رفض الإمام تفسير المفسرين للرزق بسبب تعارضه مع ترابط الآيات من أولها إلى آخرها ــ في نظره ــ.

(٣) رد سبب النزول إذا تعارض مع ترابط الآيات ووحدة السورة:

أكد الشيخ رشيد رضا هذا المنهج بقوله: " ومن عجيب شأن رواة أسباب النزول أنهم يمزقون الطائفة الملتئمة من الكلام الإلهي، ويجعلون القرآن عضين متفرقة، بما يفككون الآيات ويفصلون بعضها عن بعض، ويما يفصلون بين الجمل الموثقة في الآية الواحدة، فيجعلون لكل جملة سبباً مستقلاً كما يجعلون لكل آية من الآيات الواردة في مسألة واحدة سبباً مستقلاً " [٣]. وهذا ما طبق على تفسيرهما لكتاب الله تعالى، وهاك أمثلة توضح هذا المنهج:

---

(١) صحيح البخاري: ٣ / ١٢٦٣.

(٢) تفسير المنار ٣ / ٢٩٣.

(٣) المرجع السابق: ٢ / ١١.

أ ــ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [1] يقول الشيخ رشيد رضا: " انظر هذه الآيات تجد إعجازها في بلاغة الأسلوب أن مهدت للأمر بتحويل القبلة ما يشعر به في ضمن حكاية شبهة المعترضين التي ستقع منهم، وبتوهين هذه الشبهة بإسنادها إلى السفهاء من الناس وإيرادها مجملة ويوصلها بالدليل على فسادها، وبذكر هداية الصراط المستقيم الذي لا التواء فيه ولا اعوجاج...، ثم قال: أفيصح في مثل هذا السياق الموثق بعض جملة وآياته ببعض أن تُفكَّ وثقة فيجعل نتفاً نتفاً ؟! ويقال إن كل جملة منه نزلت لحادثة حدثت، أو كلمة قيلت،وإن أدى ذلك إلى قلب الوضع، وجعل الأول آخر والآخر أولاً، وجعل آيات التمهيد متأخرة في النزول عن آيات المقصد ؟ أتسمح لنا اللغة العربية والدين بأن نجعل القرآن عضين، لأجل الروايات التي رويت، وإن قيل إن إسناد بعضها قوي بحسب ما عرف من تاريخ الراوين ؟ "[2].

ب ــ وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾[3] يقول الأستاذ الإمام: " أرأيت هذا الاتصال المحكم بين الآية وما قبلها ؟ إن بعض المفسرين قد قطع عراه وفصمها، وجعل الآية

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٢.

(٢) المرجع السابق: ٢ / ١١.

(٣) سورة البقرة الآية ١٦٣.

جواباً لقوم قالوا للنبيﷺ انسب لنا ربك... [1] إن سبب النزول إنما يحتاج إليه في آيات الأحكام.. وأما الآيات المقررة للتوحيد وهو المقصود الأول من الدين فلا حاجة إلى التماس أسباب لنزولها، بل هي لا تتوقف على انتظار السؤال، وإنما كان يبين عند كل مناسبة وما عساه يكون قد قارن نزولها من حادثة أو سؤال مثل هذا الذي ذكر آنفاً، فهو إن صح رواية لا يزيدنا بياناً في فهم الآية، ولا يصح أن يجعل سبباً لنزولها، لاسيما بعد الذي علم من اتصالها بما قبلها، كما لا يليق ببلاغة القرآن ".[2]

---

(١) إن جعل الآية جواباً لقوم قالوا للنبي ﷺ: " انسب لنا ربك " ليس سبب نزول الآية المذكورة، إنما هو سبب لنزول سورة الإخلاص. أخرج الحاكم في المستدرك ٥٨٩/٢ برقم ٣٩٨٧ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي عن أبي بن كعب ﷺ أن المشركين قالوا: يا محمد انسب لنا ربك، فأنزل الله ــ عز وجل ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وأن الله لا يموت ولا يورث... وقد قال به جمهرة المفسرين: ينظر: تفسير الطبري ٦٨٧/٢٤، تفسير القرطبي ٢٤٦/٢، البحر المحيط ــ أبو حيان ــ ١١ / ٣٨، فتح القدير ٨/ ٨٢، زاد المسير ٦ / ٢٠٠، تفسير الرازي ١٧ / ٢٩٣، نظم الدرر ١٠/١٠، تفسير اللباب ــ ابن عادل ــ ٤٩٤/١٦، تفسير النيسابوري ٣٩٥/٧، النكت والعيون ــ الماوردي ــ ٤ / ٤٧٠، الدر المنثور ١٠ / ٣٨٣، تفسير الخازن ٣٣٠/٦، التحرير والتنوير ٤٢٧/١٦،المحرر الوجيز ٦٧/٧، تفسير ابن أبي حاتم ١٢ / ٤٦٦، روح المعاني: ٣٠ / ٢٧١، تفسير السراج المنير ــ محمد الشربيني الخطيب ــ ١ / ٥٣٣٥، التسهيل ٣ / ٣٧١، تفسير ابن أبي زمنين ٢ / ٣٣١، مجمع الفتاوي: ٥ / ٤٣٩.

(٢) تفسير المنار ٢ / ٤٦.

يتضح مما سبق بيانه:

- مدى اهتمام الأستاذ الإمام وتلميذه بعلم المناسبات، وجعله أصلاً أصيلاً لعلم التفسير، ولو ردا من أجله أسباب النزول وخالفا جمهرة المفسرين.
- الإفراط والتكلف في وضع مناسبة لكثير من الآيات والسور.

الخاتمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، الذي بين لنا معاني القرآن، وفسر لأصحابه ما احتاجوا منه إلى تبيان، رضي الله عن آله وصحبه الذين نقلوا لنا معاني القرآن، فكانوا مدارس تنطلق منها مشاعل الإيمان.

وبعـــد،،

قديماً قيل " المتصفح للكتاب أبصر بمواضع الخلل فيه من منشئه "[١] فكان بحثي متوقفاً على قراءة تفسير المنار، والوقوف على قضايا علوم القرآن فيه، فغصت في بحره اليم، ومحيطه الجم، واكتنزت من ياقوته درراً، ونهلت من معينه عذباً سلسبيلاً، وأقف في نهاية بحثي وأنا أتذكر قول القائل: " لا أقول إن الغلط سهو جرى به القلم، بل أعترف بأن ما أجهله أكثر مما أعلم "[٢]، لأخرج بأهم نتائج ثمرات هذا البحث، والتي أحصرها في النقاط التالية:

- إن فكرة الكتابة في تفسير المنار تكمن في إقناع الشيخ رشيد رضا لأستاذه الإمام محمد عبده، بأن يكتب تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم، يعكس منهجه في الإصلاح والتجديد، لكن الشيخ محمد عبده رفض في

(١) التمثيل والمحاضرة ــ لأبي منصور الثعالبي، ٣٦/١.

(٢) الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ١ / ٩.

بداية الأمر بحجة أن القرآن لا يحتاج إلى تفسير كامل، وإنما يحتاج إلى تفسير بعض آياته فقط، ومازال الحوار بينهما حتى انتهى بإقناعه.

- ينسب "تفسير المنار" إلى ثلاثة: الشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا، والشيخ محمد بهجة البيطار، فسر الأستاذ الإمام: من الفاتحة إلى الآية السادسة والعشرين بعد المائة من سورة النساء، وفسر الشيخ رشيد رضا من أول القرآن إلى الآية الثانية والخمسين من سورة يوسف، وأكمل الشيخ محمد بهجة البيطار سورة يوسف بعد وفاة الشيخ رشيد رضا.
- كان تفسير المنار في الأصل عبارة عن دروس شفهية، كان الإمام محمد عبده يلقيها على جمهور الطلبة والمثقفين المصريين في الجامع الأزهر، وكان الشيخ رشيد رضا يقوم بتدوين خلاصة أفكاره في مذكرات خاصة به ثم حرر هذه المذكرات وأضاف عليها.
- إن علوم القرآن الكريم من أهم العلوم وأعلاها وأنفعها لفهم كتاب الله تعالى وتدبره، واستنباط حكمه وأحكامه بصورة دقيقة وصحيحة.
- نالت قضايا علوم القرآن عناية فائقة في تفسير المنار بين ثنايا التفسير، فلم يترك الأستاذ الإمام وتلميذه قضية من قضايا علوم القرآن إلا وأسهما فيها إسهامات تدل على مدى غزارة علمهما، ودقة فهمهما.

- اعتمد منهج الإمام محمد عبده وتلميذه بصورة أصيلة على العقل، وإذا تعارض الحديث مع العقل فإنهما يرداه ولو كان ثابتاً في صحيح الإمام البخاري كحديث سحر النبي ﷺ، وكذلك قضايا علوم القرآن الكريم.
- لم يكن الشيخ رشيد رضا يتحرج في مواضع كثيرة من مناقشة ونقد شيخه محمد عبده في بعض آرائه، خاصة في الأمور العقدية التي مال فيها الإمام محمد عبده عن مذهب السلف، فهو لا يسلم له تسليماً مطلقاً، ولا يؤيد كلامه إلا عن قناعة، وبهذا احتفظ بشخصيته العلمية المستقلة حتى وهو ينقل كلام أستاذه.
- **فيما يتعلق بأسباب النزول:** يرى أصحاب تفسير المنار أنه لا فائدة من أسباب النزول، وأنها تمزق الطائفة الملتئمة من الكلام الإلهي، وتجعل القرآن عضين، وتفصل الآيات بعضها عن بعض، وأنه ينبغي النظر إلى عموم النصوص القرآنية دون تقييدها بحوادث معينة، ويرون أن الرواة الذين ينقلون أسباب النزول يتبعون الرواية دون أن ينظروا إلى سياق الآية والآيات التي قبلها وبعدها فيزيدون النص غموضاً وتعقيداً.
- **فيما يتعلق بالنسخ:** أنكر الأستاذ الإمام وتلميذه النسخ في القرآن الكريم بتأويل النصوص القرآنية تأويلاً خالف فيه جمهور العلماء ليثبت من خلاله إنكاره للنسخ ــ وإن كان الذي يعترض عليه في أعلى درجات الصحة ــ مع محاولة الاعتذار لأبي مسلم الأصفهاني أشهر المنكرين للنسخ.

- **فيما يتعلق بالتأويل:** إن التأويل عند الأستاذ الإمام وتلميذه هو: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لقرينة تدل عليه، وهو اصطلاح حادث لا يعرف في الكتاب ولا في السنة، ولم يكن عند متقدمي الأمة، ومن ثم تأويل النص ليوافق العقل، ولو أدى ذلك إلى التأويل الخاطئ ولا يخفى ما في خطورة هذا التأويل من فتح باب الطعن على الأحاديث، وتأويل المعجزات.. الخ لمخالفتها لبعض ما يذهبون إليه.
- **فيما يتعلق بعلم المناسبات:** إن علم المناسبات أصل من أصول تفسير المنار، فالوحدة الموضوعية بين الآية وسابقتها، والسورة الواحدة، والسورة والسورة أصل للتفسير، وفهم لكتاب الله تعالى، إلا أنه يؤخذ على تفسير المنار ــ المبالغة ــ فيما يتعلق بالمناسبات.

  ــ رد التفسير إذا تعارض مع ترابط الآيات ووحدة السورة.

  ــ رد سبب النزول إذا تعارض مع ترابط الآيات ووحدة السورة.

- **النقد لا يعني الانتقاص:** إن كل أحد من الناس كائناً من كان، يؤخذ من قوله ويترك، يؤخذ منه ويقبل ما وافق الحق، ويترك ويرد ما خالف الحق لأنه غير معصوم، إلا رسول الله ﷺ فيؤخذ بكل قوله ويقبل لأنه وحي يوحى وهذا من علامات حفظ الله لدينه من جانب، ومن جانب آخر فيه الدلالة على شدة التعظيم للنصوص الشرعية وتقديمها على أقوال الرجال، ومن هنا قالوا: " إذا ورد الأثر بطل النظر ".

التوصيات:

من أهم التوصيات:

- التركيز على الدراسات النقدية لاسيما التفاسير المتعلقة بالفرق والمذاهب بالتعقيبات، والترجيحات، والمقارنات بين أقوال العلماء بعضها ببعض؛ لأن ذلك ينمي لدى الباحث ملكة الترجيح والموازنة بين الأقوال للوصول إلى القول الصحيح والمنهج السديد.
- دراسة تفاسير المدرسة العقلية لمعرفة سلبيات الاتجاه العقلي فيها، وأثره على التفسير.
- لازال تفسير المنار يحتاج إلى دراسات متأنية لاسيما في الجوانب التالية:

الجانب الإصلاحي، الجانبي الفقهي، جانب التجديد عند الإمام محمد عبده ما له، وما عليه.

وأخيراً: إن نجد عيباً فَسُدَّ الخَلَلا .:. جَلَّ من لا عيب فيه وَعَلا (١)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❁❁❁

(١) البيت للقاسم الحريري في منظومته في النحو: ملحمة الإعراب. ينظر: شرح ملحمة الإعراب، ص ٣٧٢.

(ثبت المصادر والمراجع)

- **الإبهاج في شرح المنهاج:** السبكي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ.
- **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر:** د. فهد الرومي، الناشر: إدارة البحوث العلمية والإفتاء ـ السعودية، ١٤٠٧هـ.
- **الاتجاهات الفكرية المعاصرة:** المستشار د. على جريشة، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩٨م.
- **إتقان البرهان في علوم القرآن:** أ.د. فضل عباس، الناشر: دار الفرقان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- **الإتقان في علوم القرآن:** السيوطي ـ الناشر:الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ.
- **الإحكام في أصول الأحكام:** الآمدي، الناشر: المكتب الإسلامي في بيروت.
- **أدلة التشريع المتعارضة:** د. بدران أبو العنين، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة.
- **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول:** الشوكاني، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

- **أســـاس البلاغـــة:** الزمخـــشري، الناشـــر: دار الكتـــب العلميـــة، بيروت١٤١٩هـــ.
- **الأساس في التفسير:** سعيد حوى، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة.
- **أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي:** د.على جريشة، محمد شريف الزيبق الناشر: دار الوفاء، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـــ.
- **أسباب النزول:** الواحدي، الناشر: دار الكتـــاب الجديـــد، ط الأولـــى ١٩٦٩م.
- **أسباب النزول وأثرها فـــي التفـــسير:** أطروحـــة ماجـــستير، ســـنة ١٤٠٦هـــ، لعصام بن عبد المحسن الحميدان، كليـــة أصـــول الـــدين بالرياض ــ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب:** ابن عبد البر، الناشـــر: دار الجيـــل، بيروت ١٤١٢هـــ.
- **الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز:** العز بن عبد السلام، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٨هـــ.
- **الإصابة في تمييز الصحابة:** ابن حجر، الناشر: دار الكتب العلميـــة، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـــ.

- **إصلاح المنطق:** ابن السكيت، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** الشنقيطي، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.
- **الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره:** د.محمد أحمد يوسف القاسم، طبعة القاهرة، ١٩٧٩م.
- **إعجاز القرآن:** الباقلاني، الناشر: دار المعارف ــ مصر ١٩٩٧م.
- **الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية:** زكي محمد مجاهد، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.
- **أعلام العرب "رشيد رضا " الإمام المجاهد:** د. إبراهيم العدوي، الناشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤م.
- **أعلام العرب رشيد رضا الإمام المجاهد:** د. العدوي، الناشر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف.
- "**أعلام العرب" عبقري الإصلاح والتعليم الأستاذ محمد عبده:** عباس محمود العقاد، الناشر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف ١٩٦٤م.
- **إعلام الموقعين عن رب العالمين:** ابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١١هـ.

- **الأعلام:الزركلي،** الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م
- **الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده:**جمعها وقدم لها د.محمد عمارة، الناشر: دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- **الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير:** د. عبد الغفار عبد الرحيم، الناشر: مطبعة طيبة، مصر.
- **إمعان النظر في نظام الآي والسور:** محمد عناية الله هداية الله، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠١هـ.
- **الإيضاح في علوم البلاغة:** القزويني، الناشر: دار إحياء العلوم ـ بيروت، ١٩٩٨م.
- **الإيضاح في علوم البلاغة:** القزويني، الناشر: الشركة العالمية للكتاب، الطبعة الأولى.
- **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه:** مكي بن أبي طالب: الناشر: دار المنارة ١٤٠٦هـ.
- **البحر المحيط في التفسير:** أبو حيان، الناشر: دار الفكر، بيروت ١٤٢٠هـ
- **البداية والنهاية:** ابن كثير، الناشر: دار الفكر عام ١٤٠٧هـ.

- **البلاغة أفنانها وفنونها:** د. فضل حسن عباس، الناشر: دار الفرقان، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.
- **تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده:** محمد رشيد رضا، الناشر: مطبعة المنار الطبعة الأولى ١٣٥٠هـ.
- **تاريخ الصحافة العربية:** بقلم الفيكونت فيليت دي طرازي، المطبعة الأدبية، بيروت ١٩١٣م.
- **تاريخ الفلسفة الإسلامية:** د. ماجد فخري، د. كمال اليازجي، الناشر: الدار المتحدة للنشر ١٩٧٤م.
- **تاريخ بغداد وذيوله:** الخطيب البغدادي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.
- **تاريخ علماء دمشق أعيانها في القرن الرابع عشر الهجري:** نزار أباظة، محمد مطيع الحافظ، الناشر: دار الكتاب المصري، ١٤١٠هـ.
- **التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد):** ابن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- **التسهيل لعلوم التنزيل:** ابن جزي الكلبي، الناشر: شركة دار الأرقم، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

- **التعبير شرح التحرير في أصول الفقه:** المرداوي، الناشر: مكتبة الرشد، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- **التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من أسماء الأعلام:** مخطوط برقم ٣٥٠٩ بدار المخطوطات.
- **التعريفات:** الجرجاني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ
- **تفسير ابن أبي حاتم:** "تفسير القرآن العظيم"، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩هـ.
- **تفسير ابن أبي زمنين:** " تفسير القرآن العزيز "، الناشر: الفاروق الحديثة، مصر ١٤٢٣هـ.
- **تفسير أبي السعود:** " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- **تفسير البيضاوي:** "أنوار التنزيل وأسرار التأويل "، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.
- **تفسير الخازن:** " لباب التأويل في معاني التنزيل " الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- **تفسير القرآن الحكيم: الشهير بتفسير المنار:** لمحمد رشيد رضا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

- **تفسير اللباب في علوم الكتاب:** ابن عادل، الناشر: دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ.
- **التفسير النبوي للقرآن الكريم وموقف المفسرين منه:** د. محمد إبراهيم عبد الرحمن،الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٥م.
- **تفسير النيسابوري:** " تفسير القرآن "، الناشر: دار المآثر ١٤٢٣هـ.
- **تفسير قتادة** ﷺ: دراسة للمفسر ومنهج تفسيره، لعبد الله السعود بدر، الناشر: عالم الكتب.
- **التفسير والمفسرون:** د.محمد حسين الذهبي، الناشر:مكتبة وهبة، ٢٠٠٠م.
- **تلخيص الأصول:** حافظ ثناء الله الزاهدي، الناشر: مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ١٤١٤هـ.
- **التمهيد في أصول الفقه:** الكلوذاني، الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث، ١٤٠٦هـ.
- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد:** ابن عبد البر، الناشر: وزارة عموم الأوقاف، المغرب، ١٣٨٧هـ.
- **تهذيب اللغة:** الأزهري الهروي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م.
- **التوقيف على مهمات التعاريف:** المناوي، طبعة دار الفكر المعاصر.

- **تيسير الكريم الرحمن:** "تفسير السعدي"، الناشر:مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ.
- **التيسير في قواعد علوم التفسير:** محي الدين محمد بن سليمان الكافيجي، الناشر: مكتبة القدسي ١٤١٩هـ.
- **جامع بيان العلم وفضله:** ابن عبد البر، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام ١٤١٤هـ.
- **حاضر العالم الإسلامي:** لوثر وباستودارد الأمريكي، الناشر: دار الفكر، ١٣٩١هـ.
- **خزانة الأدب وغاية الأرب:** ابن حجة الحموي، الناشر: دار ومكتبة هلال ١٩٨٧م.
- **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة:** علي باشا مبارك، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية ١٣٠٦هـ.
- **دائرة المعارف الإسلامية:** مجموعة من المستشرقين،الناشر: مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٤١٨هـ.
- **درء تعارض العقل والنقل:** ابن تيمية، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ١٤١١هـ.

- **دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب:** الشنقيطي، الناشر: دار عالم الفوائد ١٤٢٦هـ.
- **رحلة الحج إلى بيت الله الحرام:** الشنقيطي، الناشر: دار ابن تيمية، الطبعة الأولى.
- **الرسالة:** الإمام الشافعي، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٨هـ.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** الألوسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- **روضة الناظر وجنة المناظر:** ابن قدامة المقدسي، الناشر: مؤسسة الريان ١٤٢٣هـ. السعودية.
- **السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي:** د. محمد سعيد البوطي، الناشر: دار الفكر العاصر، بيروت، ٢٠٠١م.
- **سنن ابن ماجه:** ابن ماجه، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.
- **سنن الترمذي:** "الجامع الكبير"، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
- **سنن الدارمي:** تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المفتي للنشر، السعودية، ١٤١٢هـ.
- **الشافعي حياته وعصره ــ آراؤه الفقهية:** محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة،.

- **شرح الأصول من علم الأصول:** ابن عثيمين، الناشر: دار البصرة.
- **شرح الكوكب المنير:**الفتوحي المعروف بابن النجار، الناشر:وزارة الأوقاف
- **صحيح البخاري:** للإمام أبي عبد الله محمد إسماعيل البخاري، الناشر: دار الفكر ١٤١٤هـ.
- **صحيح مسلم:** "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ " الناشر: دار إحياء التراث العربي.
- **الطبقات الكبرى:** ابن سعد، الناشر: دار صادر، بيروت،ط الأولى ١٩٦٨م.
- **عبقري الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده:** عباس محمود العقاد، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.
- **العدة في أصول الفقه:** أبو يعلي بن الفراء، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.
- **علوم القرآن بين البرهان والإتقان (دراسة مقارنة):** د. حازم حيدر، الناشر: دار الزمان ١٤٢٠هـ.
- **علوم القرآن تاريخه ٠٠ وتصنيف أنواعه:** د. مساعد بن سليمان الطيار، تاريخ النشر ١٤٣٤هـ.
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري:** العيني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- **العين:** الخليل بن أحمد الفراهيدي، الناشر: دار الكتب العلمية.
- **غرر البيان لمبهمات القرآن:** ابن جماعة، مخطوط برقم ٢٥٦ بدار المخطوطات.
- **فتح البيان في مقاصد القرآن:** صديق خان، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة ١٤١٢هـ.
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل:** ابن حزم الظاهري، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.
- **فقه السيرة:** البوطي، الناشر:دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م
- **الفقيه والمتفقه:** الخطيب البغدادي، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢١هـ.
- **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي:** د.محمد البهي، الناشر: مكتبة وهبه، ١٣٨٣هـ.
- **القاموس المحيط:** الفيروزآبادي، الناشر: مؤسسة الرسالة ١٤٢٦هـ.
- **قانون التأويل:** القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، دراسة وتحقيق: محمد السليماني، الناشر: دار الغرب الإسلامي.
- **قواعد الترجيح عند المفسرين:** حسين بن على الحربي، الناشر: دار ابن الجوزي، ١٤٢٩هـ.

- **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي:** عبد العزيز أحمد بن محمد البخاري، الناشر: مطبعة الشركة الصحافية العثمانية.
- **لسان العرب:** ابن منظور، طبعة دار المعارف.
- **لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير:** محمد الصباغ، الناشر: المكتب الإسلامي.
- **لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير:** محمد الصباغ، الناشر: المكتب الإسلامي ١٤١٠هـ.
- **مآثر الإنافة في معالم الخلافة:** أحمد بن عبد الله القلقشندي، الناشر: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٥م.
- **مباحث في التفسير الموضوعي:** د. مصطفى مسلم، الناشر: دار القلم، ١٤٢٦هـ.
- **مباحث في علوم القرآن:** مناع القطان، الناشر: مكتبة المعارف، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ.
- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:** ابن الأثير، الناشر: المكتبة العصرية بيروت، ١٩٩٥م.
- **مجلة البحوث الإسلامية:** الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، مجلة دورية، الناشر: مكتبة الرياض، ١٤٠١هـ.
- **مجموع الفتاوي:** ابن تيمية، طبعة الأوقاف السعودية.

- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** ابن عطيه، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- **المحصول:** الرازي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط الثالثة، ١٤١٨هـ.
- **محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين:** تحقيق: سليمان دنيا، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٣٧٧هـ.
- **المحيط في اللغة: الصاحب بن عباد، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى** ١٩٩٤م
- **مختار الصحاح:** الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة الخامسة.
- **مختصر المنتهى مع شرحه للعضد:** ابن الحاجب،الناشر:دار الكتب العلمية.
- **المختصر في أصول الفقه:** ابن اللحام، الناشر: جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة،
- **مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل:** ابن الحاجب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م.
- **المدخل لدراسة القرآن الكريم:** أبو شهبة ــ الناشر: مكتبة السنة ــ الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

- **مذكرة في أصول الفقه:** الشنقيطي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ٢٠٠١م.
- **المستصفى:** أبو حامد الغزالي، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.
- **المسند:** الإمام أحمد بن حنبل،المحقق: أحمد معبد عبد الكريم، الناشر: دار المنهاج ١٤٢٩هـ.
- **المسودة في أصول الفقه:** مجد الدين ابن تيمية، الناشر:دار الكتاب العربي.
- **المعاصرون:** محمد كرد علي، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر ١٩٩٣م.
- **معالم التنزيل:** البغوي ـ المحقق: محمد عبد الله النمر، طبعة دار طيبة.
- **معاني القرآن وإعرابه:** الزجاج، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- **المعتمد في أصول الفقه:** لأبي الحسن البصري، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.
- **معجم البلدان:** ياقوت الحموي، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

- **معجم المؤلفين:** عمر رضا كحالة، الناشر: مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ.
- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع:** أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، الناشر: عالم الكتب، بيروت.
- **معجم مقاييس اللغة:** ابن فارس، الناشر: دار الفكر ١٣٩٩هـ.
- **معرفة الناسخ والمنسوخ:** محمد بن حزم، الناشر: دار الكتب العلمية ١٤٠٦هـ.
- **المغرب في ترتيب المعرب:** أبو الفتح ناصر الدين المطرزي، الناشر: مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ١٣٩٩هـ.
- **المفردات في غريب القرآن:** الراغب الأصفهاني، الناشر: دار القلم ـ بيروت، ١٤١٢هـ.
- **مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر:** د. مساعد الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢٧هـ.
- **مقدمة جامع التفاسير:** الراغب الأصفهاني، الناشر: دار الدعوة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- **من أعلام التربية العربية الإسلامية:** مجموعة من الباحثين والمفكرين، الناشر: مكتب التربية الغربي لدول الخليج ١٤٠٩هـ.

- **المناسبات في القرآن الكريم:** " دراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، عبد الله بن مقبل، ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤١٣هـ.
- **مناهل العرفان في علوم القرآن:** الزرقاني ــ طبعة دار الفكر ــ بيروت ــ الطبعة الأولى.
- **المنتقى في علوم القرآن:** د. طه عابدين، طبعة دار مكة.
- **المنخول في علم الأصول:** أبو حامد الغزالي، الناشر: دار الفكر المعاصر ١٤١٩هـ.
- **منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم:** د.عبد الله محمود شحاته الناشر: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب.
- **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير:** فهد بن عبد الرحمن، الناشر: مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ.
- **الموافقات:** الشاطبي، الناشر: دار ابن عفان، ط الأولى، ١٤١٧هـ.
- **موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين:** خليل أحمد خليل، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٢٠٠١م.
- **الموسوعة العربية العالمية:** مجموعة من العلماء والباحثين، الناشر:مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، ١٤١٩هـ.

- **الموسوعة العربية الميسرة:** مجموعة من الباحثين، الناشر: المكتبة العصرية، ١٤٣١هـ.
- **الموطأ:** الإمام مالك بن أنس، الناشر: دار إحياء التراث العربي ١٤٠٦هـ.
- **موقف تفسير المنار من روايات أسباب النزول والإسرائيليات:** بحث للدكتور: أحمد محمد مفلح، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، العدد ٢٨، مجلة علمية محكمة.
- **الناسخ والمنسوخ:** النحاس، الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٨هـ.
- **الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن:** أبوعبيد القاسم بن سلام، الناشر: مكتبة الرشد ـ السعودية.
- **الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء فيه:** النحاس، تحقيق: د.سليمان اللاحم، الناشر: مؤسسة الرسالة ١٤١٢هـ.
- **النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم:** د. محمد عبد الله دراز، الناشر: دار العلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ.
- **النسخ في القرآن الكريم:** د. مصطفى زيد، الناشر: دار الوفاء ١٤٠٨هـ.

- **النسخ في دراسات الأصوليين:** نادية شريف العمري، الناشر: مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ.
- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:** البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي ١٤٠٤هـ.
- **النكت والعيون:** الماوردي، " تفسير الماوردي "، الناشر: دار الكتب العلمية.
- **نواسخ القرآن:** ابن الجوزي، الناشر: الجامعة الإسلامية، ١٤٠٤هـ.
- **الواضح في أصول الفقه:** ابن عقيل، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٠هـ.
- **الورقات:** جلال الدين المحلي، معه حاشية الدمياطي، الناشر: جامعة القدس، ١٤٢٠هـ.